

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

حُجِّيَّتُهَا وَتَدْوِينُهَا

دِرَاسَةٌ عَامَّةٌ

تَأْلِيفُ
سَيِّد عَبْدُ المَاجِدِ الغَوْرِي

دار ابن كثير




الفصل الثاني

السُّنَّة النبوية

كتابتها وتدوينها وتصنيفها

القسم التمهيدي: كلمة في تعريف (التدوين) و(التصنيف) و(الكتابة).

القسم الأول: تدوينُ السُّنَّة في القرن الأول الهجري.

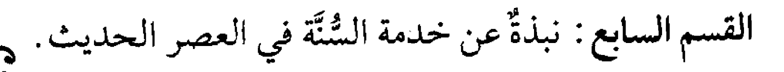
القسم الثاني: تدوينُ السُّنَّة في القرن الثاني الهجري.

القسم الثالث: تدوينُ السُّنَّة في القرن الثالث الهجري.

القسم الرابع: تدوينُ السُّنَّة في القرن الرابع الهجري.

القسم الخامس: تدوينُ السُّنَّة في القرن الخامس الهجري.

القسم السادس: تدوينُ السُّنَّة في القرن السَّادس الهجري.



القسم السابع: نبذةٌ عن خدمة السُّنَّة في العصر الحديث.



القسم التمهيدي

كلمةٌ في تعريف
(التدوين) و(التصنيف) و(الكتابة)

هناك فرقٌ كبيرٌ بين كلمة (تدوين) و(تأليف) و(تصنيف) من جهةٍ، وكلمة (كتابة) من جهةٍ أخرىٰ في اللغة العربية لا بُدَّ أن يعرفه القارئُ.

فالكلماتُ الثَّلاث الأولىٰ تُفيد ـ عند الإطلاق ـ أنَّ هناك كتاباً تَمَّ تأليفُه بين دَفَّتَيْن بحيث يشتمل على مجموعةٍ من الأوراق تشكل بمجموعها كتاباً واحداً.

فالدِّيْوانُ: هو مجتمعُ الصُّحُف[1]، والدَّفْتَرُ الذي يُكتَب فيه[2].

والتَّدوينُ: هو عملُ وصناعةُ الدِّيوان، أي: هو تقييدُ المُفتَرقِ المُتشتِّت، وجمعُه في ديوانٍ أو كتابٍ تُجْمَع فيه الصُّحُفُ[3].

والتأليفُ: هو جمعُ مادَّةٍ مفرَّقةٍ وضَمُّها إلىٰ بعضٍ بحيث تصبح كتاباً واحداً[4] هو المؤلَّفُ.

---

(١) لسان العرب: مادة (دون).

(٢) النهاية في غريب الحديث: (٢/ ١٥٠).

(٣) القاموس المحيط: انظر مادة (دون).

(٤) لسان العرب مادة (ألف). وانظر: «تعريفات الجرجاني» حرف (التاء).

والتَّصْنيفُ: هو التمييزُ[1] والترتيبُ بحيث يكون الكتابُ (المصنَّفُ) مقسَّماً علىٰ أبوابٍ أو فصولٍ. و(التصنيفُ) أدَقُّ من (التدوين)؛ إذ هو ترتيبُ ما دُوِّنَ في فصولٍ محدودةٍ وأبوابٍ مميَّزةٍ، قال الزَّبِيْدِيُّ: «وصَنَّفه تصنيفاً؛ جعله أصنافاً، ومَيَّز بعضَها عن بعضٍ[2]»، وقال الزَّمَخْشَرِيّ: «... ومنه تصنيفُ الكُتب»[3].

وأما **الكتابة**: فهي ـ عند الإطلاق ـ لا تُفيد إلاّ مجرَّد الخطِّ أو الرقم علىٰ ورقةٍ أو لوحٍ أو جدارٍ. جاء في اللِّسان: (كَتَب الشيءَ... خطَّه)[4].

ويُطلَق علىٰ الورقة أو الصحيفة أوالرسالة المكتوبة: كتابٌ[5].

فينبغي فهمُ هٰذه الألفاظ فهماً دقيقاً ليسهل معرفةُ مراد كثيرٍ من العلماء القدماء الذين تكلَّموا في هٰذا الموضوع. بل ينبغي فهمُ مصطلحات أهل كلِّ فنٍّ ومراعاة تطوُّرها واختلافِ دلالاتها بين عصرٍ وآخر؛ لأنه المدخل الصحيح لفهم أيِّ قضيةٍ فهماً صحيحاً.

إذنْ لا بُدَّ من مراعاة مدلول هٰذه الألفاظ عند دراسة هٰذه القضية، فقولُ الترمذي ـ مثلاً ـ: «وجدنا غيرَ واحدٍ من الأئمة تكلَّفوا من التصنيف ما لم يسبقوا إليه...»[6]، أو قول الحافظ ابن حجر: «ثم حدَثَ في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار...»[7].

---

(١) لسان العرب: مادة (صنف).
(٢) تاج العروس: انظر مادة (دون).
(٣) الفائق: انظر مادة (دون).
(٤) لسان العرب: مادة (كتب).
(٥) المصدر السابق: مادة (كتب).
(٦) جامع الترمذي: (٥/ ٦٩٤) كتاب (العلل الصغير) المطبوع في آخر السنن.
(٧) هدي الساري: ص: ٦.

أو قولُهم: «أوّل مَن دَوَّن العلم وكتبه ابنُ شهاب»[1]. ونحو هٰذه العبارات إنما تفهم علىٰ ضوء ما سبق بيانُه من الفرق بين مدلولِ هٰذه العبارات عند الاستخدام. فلا تعارُضَ بين قولهم: بدأ (التصنيف) و(التدوين) في أواخر عصر التابعين، وبين قولهم: إنَّ بعض الصحابة وأتباعهم كانوا يكتبون أو عندهم صحفٌ وكتبٌ[2].

* * *

(١) سير أعلام النبلاء: (٥/ ٣٣٤).

(٢) انظر: «تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين» للمطيري: ص: ٨ ـ ١٠.



القسم الأول

تدوين السُّنَّة في القرن الأول الهجري

اشتهر بين عامَّة الناس من غير ذَوي التتبُّع والاستقصاء أنَّ الحديث ظَلَّ أكثرَ من مئة سنةٍ يتناقله العلماء حفظاً دُون أن يكتبوه، واستمرَّ هـٰذا الظَّنُّ قرابةَ خمسة قرون متتابعةٍ وهو يزيد توسُّعاً ويطرد قُوَّةً، حتىٰ جاء الخطيبُ البغداديُّ فتتبَّع مسائلَ هـٰذا الموضوع وجمع شتاته، وألَّف في ذلك كتابه «تقييد العلم».

أمَّا سببُ هـٰذا الظَّنِّ فهو خطأٌ في تأويل ما ورد عن المحدِّثين في تدوين الحديث وتصنيفه، فقد ذكر هؤلاء أنَّ أول مَن دَوَّن العلمَ: ابنُ شهاب الزهري (المتوفىٰ سنة ١٢٤ أو١٢٥ هـ)، وذكروا أول مَن صنَّف الكتبَ فإذا هم جميعاً ممن عاش حتىٰ بعد سنة (١٤٣ هـ) تقريباً، ولم يُعْطِ العلماء قبل الخطيب هـٰذه الأقوال حَقَّها من التأويل العميق والفهم الدقيق، بل رووا هـٰذه الأقوالَ بشكلٍ يُوهم بأنه فعلاً أوَّلُ مَن كتب الحديث ودَوَّنه ابنُ شهاب الزهري، وأول من صنَّفه في الكتب أتىٰ بعده.

وغلبت هـٰذه الفكرةُ علىٰ أصحاب الكتب الجامعة: كأبي طالب المكِّي، والإمام الذَّهبي، والحافظ ابن حجر، والمَقْرِيزي، و القَنُّوْجي ـ صاحب «أبجد العلوم» ـ وغيرهم، فكانوا يؤيِّدونها رغم أنهم كانوا يجدون لها نقيضاً، وذلك أنهم يذكرون أنَّ مَن بعد الصحابة والتابعين كانوا يَرْوَوْنَ العلم من صُحُفٍ صحيحةٍ غير مرتَّبةٍ كُتبت في عصر الصحابة والتابعين.

إذن حصل هناك تدوينٌ قبل عصر الإمام الزهري الذي يُعَدُّ من طبقة صغار التابعين.

وقد حاول الخطيبُ أن يُثبت أنَّ تقييد العلم كان موجوداً في حياته ﷺ وفي عصر الصحابة والتابعين كذلك، فقاده ذلك إلىٰ البحث في تاريخ تقييد العلم، فجمع الأحاديثَ والأخبار التي لها صلةٌ بنشأة تقييد العلم، وهي أكثر مما جمعه سلفُه، ووجدها تنتظم في حلقتين مختلفتين متضادَّتين، فبعضُها يُشير إلى كتابة الحديث والإقبال عليه، والآخر يظهر خلاف ذلك، وهـٰذا ما قد كان وجده متقدِّموه، غير أنه ألفىٰ شيئاً جديداً فيها، وهو أنَّ بعضها يتضمَّن الإشارة إلىٰ سبب كراهة الكتابة، فبدا له أن يُفرد هـٰذه النصوصَ ببابٍ خاصٍ لعلَّها تنطق من نفسها عما يزيل الخلاف ويرفع التناقض[1].

الكتابة في حياة الرسول ﷺ:

لم يكن العربُ قبل الاسلام يعتمدون علىٰ الكتابة في حفظ أشعارهم وخُطَبهم وقِصَص أيَّامهم ومآثرهم وأنسابهم، بل اعتمدوا علىٰ الذاكرة، ونَمَتْ ملكةُ الحفظ عندهم فاشتهروا بقُوَّة ذاكرتهم وسُرْعةِ حِفظهم. ولكن هـٰذا لا يعني عدمَ وجودِ مَن يعرف الكتابةَ بينهم وقتئذٍ؛ ذلك لأنَّ مجتمع مكَّة التجاري يحتاج إلىٰ معرفةٍ بالكتاب والحساب، ولكن عدد الكاتبين كان قليلاً؛ ولذلك وَصَف القرآنُ الكريمُ العربَ بأنهم أُمِّيّون، فقال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة: ٢]، وفي الحديث الشريف: «إنَّا أمةٌ أُمِّيةٌ لا نكتب ولا نحسب»[2].

وقد حَثَّ الاسلامُ علىٰ العلم، واهتمَّ النبيُّ ﷺ بتعليم المسلمين الكتابةَ، فأذن لأسرىٰ بدر أن يفدوا أنفسَهم بتعليم عشرة من صبيان الأنصار القراءة

---

(١) انظر: «تدوين السنة النبوية: نشأته وتطوره» للزهراني، ص: ٧٤ ـ ٧٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الصيام، باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، برقم: (١٠٨٠).

والكتابة[1]. وكان بعضُ الصحابة يتعلَّمون القراءةَ والكتابةَ في مسجد الرسول ﷺ حيث تطوّع بعضُ المعلِّمين بتعليمهم، مثل: عبد الله بن سعيد بن العاص، وسعد بن الرَّبيع الخَزْرَجي، وبشير بن ثَعْلَب، وأَبَان بن سعيد العاص - رضي الله عنهم -[2]، فكثر عددُ الكاتبين حتىٰ بلغ عددُ كُتَّابِ الوحي زُهاء أربعين كاتباً، [3]ناهيك عن كُتَّاب الصَّدقات والرسائل والعهود.

كتابة الحديث في حياة الرسول ﷺ:

ومع وجود عددٍ من الكُتَّاب في حياة الرسول ﷺ وقيامهم بتدوين القرآن الكريم فإنهم لم يقوموا بجمع حديث الرسول ﷺ وكتابته بشمولٍ واستقصاءٍ بل اعتمدوا علىٰ الحفظ والذاكرة في أغلبه، ولم يأمرهم النبيُّ ﷺ بذلك، ولعلَّه أراد المحافظةَ علىٰ ملكة الحفظ عندهم، خاصّةً وأنَّ الحديث تجوز روايتُه بالمعنىٰ خلاف القرآن الكريم الذي هو معجزٌ بلفظه ومعناه، ومن ثم فلا تجوز روايتُه بالمعنىٰ؛ لذلك اقتضت الحكمةُ حصرَ جهودِ الكاتبين في نطاق تدوين القرآن الكريم، وللتخلُّص من احتمال حُدوث التباس عند عامة المسلمين فيخلطون القرآنَ بالحديث إذا اختلطت الصُّحُفُ التي كتب فيها القرآن بصُحُف الحديث، خاصّةً في الفترة المبكِّرة عندما كان الوحيُ ينزل بالقرآن الكريم ولما يكمل الوحي، ولما يعتد عامةُ المسلمين علىٰ أسلوب القرآن.

الأحاديث التي وردت في النهي عن كتابة الحديث ثم السماح بها:

وقد وردت أحاديثُ عن النبي ﷺ تنهىٰ عن كتابة الحديث كما وردت

---

(١) الطبقات الكبرىٰ: (٢/ ٢٢)، واختصاص الأنصار بذلك لأن المهاجرين كان فيهم الكاتبون ولم يكن في الأنصار ذلك. (الأموال: لأبي عبيد: ص: ١١٥)، ويذكر المقريزي: أنَّ زيد بن ثابت ممن علَّمهم أسرىٰ بدر الكتابة (انظر: «إمتاع الأسماع» ص: ١٠١).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٦)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ٥٣١)، و«الإصابة» (١/ ١٠).

(٣) عيون الأثر: (١/ ٣١٥ ـ ٣١٦).

أحاديث تسمح بالكتابة[1]، أذكر فيما يلي كُلاًّ من هذين النوعين، ثم أذكر رأيَ العلماء في تعارض أحاديث هذين النوعين:

(أ) أحاديث النَّهي عن الكتابة:

فأمّا أحاديث النهي عن الكتابة فهي:

١ ـ «لا تكتبوا عنّي، ومَن كَتَب عنّي غيرَ القرآنِ فَلْيَمْحُه، وحَدِّثوا عنّي ولا حرَجَ»[٢].

٢ ـ قال أبو سعيد الخُدْري ـ رضي الله عنه ـ: «جهدنا بالنبيِّ ﷺ أن يأذن لنا في الكتاب فأبىٰ»[٣].

٣ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «خَرَج علينا رسولُ الله ﷺ ونحن نكتب الأحاديثَ فقال: ما هٰذا الذي تكتبون؟ قلنا: أحاديثُ نسمعها منك. قال: كتابٌ غير كتاب الله! أتدرون؟ ما ضَلَّ الأُمَمُ قبلكم إلا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالىٰ»[٤].

وأقوىٰ هٰذه الأحاديث حديثُ أبي سعيد الخدري الأول.

(ب) أحاديث السَّماح بالكتابة:

وأما أحاديث السَّماح بالكتابة فهي:

١ ـ حديثُ عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: «كنتُ أكتب كلَّ شيءٍ أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظَه فنهتني قريشٌ، وقالوا: تكتب كلَّ

---

(١) انظر: «بحوث في تاريخ السنة المشرفة» ص: ٢٨٧ ـ ٨٨٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: «الزهد والرقائق»، باب: التثبت في الحديث، برقم (٣٠٠٤).

(٣) تقييد العلم: ص: ٣٢ ـ ٣٣.

(٤) المصدر السابق: ص: ٣٤.

شيءٍ سمعتَه من رسول الله ﷺ، ورسولُ الله ﷺ بشرٌ يتكلَّم في الغضب والرِّضا؟ فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال: «أُكْتُبْ فو الذي نفسي بيده ما خَرَج منه إلا الحَقُّ»(1).

٢ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «ما مِنْ أصحاب النبيِّ ﷺ أحدٌ أكثرَ حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب»(2).

٣ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رجلاً أنصارياً شَكَا إلى النبي ﷺ قِلَّةَ حفظِه فقال: «اسْتَعِنْ بيمينك»(3).

٤ ـ طلب رجلٌ من أهل اليَمَن يوم فتحِ مكَّةَ من الصحابة أن يكتبوا له خطبةَ النبيِّ ﷺ بعد الفتح، فاستأذنوا النبيَّ ﷺ في ذلك فقال: «اكتبوا لأبي شاه»(4).

٥ ـ حديثُ أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ: «قَيِّدوا العلمَ بالكتاب»(5).

٦ ـ حديثُ رافع بن خَدِيْج: قلتُ يا رسول الله: إنا نسمع منك أشياءَ أفنكتبها؟ قال: «اكتبوا ولا حرجَ»(6)

٧ ـ كتب النبيُّ ﷺ كتابَ الصَّدَقَات والدِّيات والفَرائض والسُّنَن لعمرو بن حَزْم(7).

---

(1) تقييد العلم: ص: ٧٤.
(2) أخرجه البخاري، في كتاب: العلم، باب: كتابة العلم، برقم: (١١٣).
(3) تقييد العلم: ص: ٦٧.
(4) المرجع السابق: ص: ٨٩.
(5) انظر: «تقييد العلم»، ص: ٧٠، و«جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٧٢).
(6) تدريب الراوي: (١/ ٢٨٦).
(7) جامع بيان العلم وفضله: (١/ ٧١).

٨ ـ قال النبيُّ ﷺ في مرضه الذي تُوُفِّيَ فيه: «آتوني بكتابٍ أَكْتُبُ لكم كتاباً لا تضلّوا بعده»[١].

٩ ـ كتابةُ النبيِّ ﷺ للصحيفة بين المهاجرين والأنصار وبين المسلمين واليهود.

(ج) رأيُ العلماء في تعارض هٰذه الأحاديث:

لقد نَهَى النبيُّ ﷺ عن كتابة الحديث خشيةَ اختلاطه بالقرآن الكريم الذي لم يكن قد جُمِعَ بعدُ، وكذلك خشيةَ انشغال المسلمين بالحديث عن القرآن وهم حديثو عهدٍ به، وإلىٰ ذلك ذهب الرَّامَهُرْمُزِيُّ (المتوفىٰ سنة ٣٦٠ هـ) بقوله تعقيباً علىٰ حديث أبي سعيد الخدري: «وحديثُ أبي سعيد: حرصنا أن يأذن لنا النبيُّ ﷺ في الكتاب فأبىٰ. فأحسبه أنه كان محفوظاً في أول الهجرة، وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن»[٢].

وأما أبو سليمان الخَطَّابي (المتوفىٰ سنة ٣٨٨ هـ) فقال: «وجهه ـ والله أعلم ـ أن يكون إنما كَرِهَ أن يُكْتَب شيءٌ مع القرآن في صحيفةٍ واحدةٍ، أو يجمع بينهما في موضعٍ واحدٍ تعظيماً للقرآن وتنزيهاً له أن يسوىٰ بينه وبين كلام غيره»[٣]. ولذلك فقد أذن النبيُّ ﷺ لبعض الصحابة المُتقِنين للكتابة أن يكتبوا الحديثَ، مثل عبد الله بن عمرو بن العاص. حيث أطمأنَّ إلىٰ عدم خَلطِه القرآن بالحديث.

وذهب بعضُ العلماء ـ ورأيهم ينسجم مع ما ذكر آنفاً ـ إلىٰ أنَّ أحاديث

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: «الوصية»، باب: ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي به، برقم: (١١٤).

(٢) المحدث الفاصل: ٧١ أ.

(٣) المصدر السابق: ٧١ أ.

السَّمح بالكتاب نسخت أحاديثَ النهي عنها، وذلك بعد أن رسخت معرفةُ الصحابة بالقرآن فلم يَخْشَ خلطهم له بسِواه، وممن ذهب إلىٰ النسخ من المتقدِّمين: ابنُ قتيبة الدَّيْنَوَري[1]، والخَطَّابي[2]، ومن المعاصرين: الشيخ أحمد محمد شاكر[3].

وهٰذا الرأيُ لا يتعارض مع تخصيص بعض الصحابة مثل عبد الله بن عمرو بالإذن في وقت النَّهي العام؛ لأن إبطال المنسوخ بالناسخ لا علاقةَ له ولا تأثيرَ في تخصيص بعض أفراد العام قبل نسخه[4].

---

(١) غريب الحديث: (١/ ٦٣٢).

(٢) انظر: «تأويل مختلف الحديث»: ص: ٣٦٥.

(٣) مختصر سنن أبي داؤد: (٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦)، و«أعلام الحديث شرح البخاري»: ص ٧٠.

(٤) انظر: «الباعث الحثيث»: ص: ١٣٣.

جُهود الصَّحابةِ في تدوين السُّنَّة في هذا القرن

لقد شاعَ في بعض أوساط المثقَّفين اليوم في العالم الإسلامي: أنَّ الحديث النبوي ما كُتب بأقلام الرَّعيل الأول من الصحابة؛ لأن النبي ﷺ نهاهم عن ذلك كما سَبَقَ في أحاديثه ﷺ في البحث السابق، فلم يكتبوا الحديثَ كما كتبوا القرآنَ الكريم، وإنهم لم يعتنوا بكتابة الحديث اعتناءً كبيراً، وإنما نقلوه من حفظهم وذاكرتهم فقط، إلىٰ أن جاء القرن الثاني الهجري وأمر الخليفةُ الراشد عمر بن عبد العزيز عُمَّالَه بجمع الحديث، وتدوينه، واتَّخذَ في هٰذا السبيل خطوةً منظَّمةً، وكتب إلىٰ عامله في المدينة المنوَّرة أن «اكْتُبْ إلي ما ثبت عندك من الحديث، فإني خِفْتُ دروسَ العلم وذهابه»[1].

وكتب إلىٰ جميع عُمَّاله في البلاد الإسلامية: أن «انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه»[2].

وما نشأ هٰذا الخطأُ إلا لأجل أنَّ عامة المؤرِّخين القدماء اقتصروا في أكثر الأحيان على ذكر تدوين الحديث في القرن الثاني من الهجرة، وأنهم لم يعتنوا عنايةً كبيرةً بذكر تلك الصُّحف والمجاميع التي كُتبت في القرن الأول بأقلام

(١) سنن الدارمي: باب: من خص في كتابة العلم: (١/ ١٢٥).
(٢) فتح الباري: (١/ ١٩٥).

الصحابة والتابعين، مع أنَّ هـٰذه المؤلَّفات قد احتوت على العدد الأكبر من الأحاديث التي دُوِّنَتْ في القرن الثالث، وذلك أنَّ هـٰذه المجموعات ما بقيت على شكلها وما وصلت إلى أيدي أولئك المؤرِّخين القدماء كما كتبها مؤلِّفوها، بل اندمج جميع ما احتوت عليه من الأحاديث في الكتب الحديثية المتأخِّرة تبعاً لسُنَّة التدوين والتأليف، فقد وردت «الصحيفة الصحيحة» التي كتبها الصحابيُّ الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ بتمامها «في مسند الإمام أحمد» ووردت كذلك جملةٌ من أحاديثها موزَّعةً في كتب الأحاديث الأخرىٰ، وكذلك وردت مروياتُ أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ التي كتبها ودَوَّنها تلميذه هَمَّام بن مُنَبِّه في كتب الحديث.

ومن الجدير بالذكر هنا: أنه ما وقع هناك أيُّ فرقٍ أو اختلافٍ بين ما رواه الرواة والمحدِّثون من حديث هَمَّام بن مُنَبِّه عن أبي هريرة معتمدين على حفظهم وذاكرتهم، وبين ما وصل إلينا من الأحاديث المُدَوَّنة في هـٰذه الصُّحف التي كتبها ودَوَّنها هَمَّامُ بن مُنَبِّه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهـٰذا دليلٌ علىٰ أنَّ الرواة والمحدِّثين الذين رووا حديثَ رسول الله ﷺ معتمدين على حفظهم إنما نقلوه بأمانةٍ تامَّةٍ ودِقَّةٍ بالغةٍ، فلم يبقَ هناك مجالٌ لسوء الظنِّ بهم، أو الشكِّ في حفظهم.

وإذا اجتمعت هـٰذه الصُّحف والمجاميع وما احتوت عليه من الأحاديث؛ كَوَّنَتِ العددَ الأكبرَ من الأحاديث التي جُمعت في الجوامع والمسانيد والسُّنن في القرن الثالث، وهكذا يتحقَّق: أنَّ المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تدوينُه وتسجيلُه من غير نظامٍ وترتيبٍ في عهد الرسول ﷺ، وفي عصر الصحابة رضي الله عنهم[1].

(١) انظر: «رجال الفكر والدعوة في الإسلام»: (١/ ١٣٤).

والسبب الثاني لنشأة هـٰذا الخطأ: «أنَّ المحدِّثين يذكرون عددَ الأحاديث الضخم الهائل الذي لا يُتَصَوَّر أن يكون قد جاء في هـٰذه المجاميع الصغيرة التي كُتبت في القرن الأول، مع أنَّ عدد الأحاديث الصِّحاح غير المتكرِّرة المتجرِّدة من المتابعات والشواهد لا يزال قليلاً، وقد نَبَّه علىٰ ذلك العلامة مَناظِر أحسن الكيلاني (المتوفىٰ سنة ١٣٧٧ هـ) في كتابه القيِّم: «تدوين الحديث»: يقول رحمه الله تعالىٰ:

«قد يتعجَّب الإنسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية، فيقال: إنَّ أحمد بن حنبل كان يحفظ أكثر من سبعمئة ألف حديثٍ، وكذلك يقال عن أبي زُرْعَة، ويُروى عن الإمام البخاري أنه كان يحفظ مئتي ألفٍ من الأحاديث الضعيفة، ومئة ألف من الأحاديث الصحيحة، ويُروى عن مسلمٍ أنه قال: جمعتُ كتابي من ثلاثمئة ألف حديث.

ولا يعرف كثيرٌ من المتعلِّمين ـ فضلاً عن العامة ـ أن الذي يُكَوِّن هـٰذا العددَ الضخمَ هو كثرةُ المتابعات والشواهد التي عُني بها المحدِّثون؛ فحديثُ: «إنما الأعمال بالنيات» مثلاً يُروى من سبعمئة طريقٍ، فلو جرَّدْنا مجامعَ الحديث من هـٰذه المتابعات والشواهد، لبقي عددٌ قليلٌ من الأحاديث.

فـ: «الجامع الصحيح» للبخاري لا تزيد الأحاديث التي رُويت بالسند الصحيح فيه علىٰ ألفين وستمئة وحديثين، وأحاديث مسلم يبلغ عددُها إلىٰ أربعة آلاف حديث، وهكذا لا يبلغ عددُ الأحاديث المروية في الصحاح الستة، ومسند أحمد، وكتبٍ أخرى، خمسين ألف حديثٍ، منها الصحيحُ ومنها السقيمُ، ومنها المُتَّفَقُ عليه ومنها المتكلَّمُ فيه.

صَرَّح الحاكمُ أبو عبد الله النَّيسابوري ـ الذي يُعَدُّ من المتسامحين المتوسِّعين ـ: أنَّ الأحاديث التي في الدرجة الأولىٰ لا تبلغ عشرةَ آلاف.

ومعظمُ هٰذه الثروة الحديثية قد كُتب ودُوِّنَ بأقلام رواة في العصر الأول، وقد يزيد ما حُفظ في الكتب والدفاتر كتابةً وتحريراً في العصر النبوي وفي عصر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على عشرة آلاف حديث؛ إذا جُمعت صحفُ ومجاميعُ أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنسِ بن مالك، وجابرِ بن عبد الله، وعليٍّ، وابنِ عباس ـ رضي الله عنهم ـ، فيمكن أن يقال: إنَّ ما ثبت من الأحاديث الصحاح، واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كُتب ودُوِّن في عصر النبوة، وفي عصر الصحابة، قبل أن يُدَوَّنَ «الموطأ» و«الصحاح» بكثير»[1].

---

(١) انظر: «تدوين الحديث»: ص: ٦٣.



كتابة الحديث في جيل الصحابة
في هذا القرن

كما وردت أحاديثُ في النهي عن الكتابة والسَّماح بها، كذلك وقف الصحابةُ مواقفَ متباينةً من كتابة الحديث، فمنهم مَن كَرِهَ الكتابةَ، ومنهم مَن أجازها، ومنهم مَن رُوي عنه الأمران، كراهية الكتابة وإجازتها، وقد ذكرت المصادرُ مواقفَ بعض كبار الصحابة الذين كرهوا كتابةَ الحديث:

كراهية بعض الصحابة كتابةَ الحديث:

١ ـ جمع أبو بكر الصِّدّيق ـ رضي الله عنه ـ خمسمئة حديث ثم أحرقها[١]، لكن الخبر لم يثبت من طريقٍ صحيحةٍ.

٢ ـ استشار عمرُ بن الخَطّاب ـ رضي الله عنه ـ الصحابةَ في تدوين الحديث، ثم استخار اللهَ تعالىٰ في ذلك شهراً، ثم عَدَلَ عن ذلك وقال: «إني كنتُ أريد أن أكتب السُّنَنَ، وإني ذكرتُ قوماً كانوا قبلكم كتبوا فأَكبّوا عليها وتركوا كتابَ الله، وإني والله لا أشوبُ كتابَ الله بشيء أبداً»[٢].

كان عمرُ بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ حكيماً، بعيدَ النظر فيما يتصل بمصالح الإسلام والمسلمين، ومستقبل هٰذا الدين ـ في التريُّث في العناية

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: (١/ ٦٤).

(٢) المصدر السابق: (١/ ٦٣).

بتدوين السنة كتابياً ونشراً، وقد أحسن الدكتور مصطفىٰ السباعي رحمه الله تعالىٰ، إذ قال في كتابه النفيس «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي»: «لقد أُضيف إلىٰ هـٰذا رغبةُ عمر ـ رضي الله عنه ـ أن لا يُكثروا من التحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام؛ كي لا ينشغل الناسُ بالحديث عن القرآن، والقرآن غضٌّ طريٌّ، فما أحوج المسلمين إلىٰ حفظه وتناقله، والتثبُّتِ فيه والوقوفِ علىٰ دراسته. روى الشعبيُّ عن قَرَظَة بن كعبٍ قال: خرجنا نريد العراقَ فمشىٰ معنا عمرُ إلىٰ صِرار، فتوضَّأ وغسل اثنتين، ثم قال: «أتدرون لِمَ مشيتُ معكم؟» قالوا: نعم! نحن أصحابُ رسول الله ﷺ مشيتَ معنا، فقال: «إنكم تأتون أهلَ قريةٍ لهم دويٌّ بالقرآن كدويِّ النّحل، فلا تَصُدُّوهم بالحديث فتشغلوهم، جوِّدوا القرآنَ وأقلُّوا الروايةَ عن رسول الله ﷺ، وامضوا وأنا شريكُكم». فلمَّا قدم قرظةُ، قالوا: حَدِّثْنا، قال: نهانا عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه»[1].

٣ ـ قال عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «أعزم علىٰ كلِّ من كان عنده كتابٌ إلا رجع فمَحَاه، فإنما هلك الناسُ حين اتَّبعوا أحاديثَ علمائهم وتركوا كتابَ ربِّهم»[2].

٤ ـ أُتي عبدُ الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بصحيفةٍ فيها حديثٌ فدعا بماءٍ فمَحَاها، وقال: «بهـٰذا أهلك أهل الكتاب قبلكم حين نبذوا كتابَ الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون»[3].

٥ ـ وردت رواياتٌ تَدُلُّ علىٰ كراهية صحابة آخرين للكتابة، وهم: زيد بن

---

(١) انظر: «طبقات ابن سعد» (٦/ ٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٣/ ٥٦٥).

(٢) جامع بيان العلم وفضله: (١/ ٦٣).

(٣) المصدر السابق: (١/ ٦٥).

ثابت، وأبو هريرة، وعبد الله بن عبَّاس، وأبو سعيد الخُدْرِي، وعبد الله بن عُمَر، وأبو موسىٰ الأشعري، رضي الله عنهم.

وقد أوضح كلٌّ مِن هؤلاء الصحابةِ أنَّ سبب كراهته كتابة الحديث خوفُه من انشغال الناس بها وانصرافهم عن القرآن الكريم[1]، لا غيرَ.

(ب)تجويز بعض الصحابة كتابةَ الحديث:

أمَّا مواقفُ الصحابة التي تَدُلُّ علىٰ تجويزهم الكتابةَ فهي:

١ ـ كتب أبو بكر الصِّدِّيق ـ رضي الله عنه ـ لأنس بن مالكٍ فرائضَ الصَّدَقة التي سَنَّها الرسولُ ﷺ[2].

٢ ـ كَتَب عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ لعُتْبَة بن فَرْقَد بعضَ السُّنن[3]، ووُجِدَ في قائم سيفه صحيفةٌ فيها صدقة السَّوائم[4].

٣ ـ كان عند عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ صحيفةٌ فيها العَقْلُ[5]، وفكاكُ الأسير، ولا يُقتل مسلمٌ بكافرٍ[6].

٤ ـ وردت أخبارٌ عن سماح بعض الصحابة الآخرين بالكتابة مثل: عائشة، وأبي هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عبَّاس، وعبد الله بن عمر،

---

(١) انظر: «بحوث في تاريخ السنة المشرَّفة» ص: ٢٩٣.
(٢) مسند أحمد (١/ ١١).
(٣) المصدر السابق: (١/ ١٦).
(٤) الكفاية: ص: ٣٥٣.
(٥) العَقْلُ: هو الدِّيَةُ.
(٦) صحيح البخاري: (١/ ٣٨)، وقد تكون هـٰذه الصحيفةُ جزءاً من الوثيقة التي كتبها النبيُّ ﷺ في المدينة لتنظيم العلاقات بين سكانها حيث ذكر ابنُ سعد أنَّ هـٰذه الصحيفة كانت في جُفن سيف النبي ﷺ المُسَمّىٰ ذو الفقار، فلعلَّ علياً أخذها من جفن السيف، فتكون مما كتب للنبي ﷺ. (انظر: «الطبقات الكبرىٰ لابن سعد» ١/ ٤٨٦).

وعبد الله بن عمرو بن العاص، والبَرَاء بن عازبٍ، وأنس بن مالكٍ، والحسن بن عليّ، وعبد الله بن أبي أَوْفَى ـ رضي الله عنهم ـ،

وفيمن ذكرتُهم من كان يكره الكتابةَ ثم أجازها، ولا تناقُضَ في ذلك؛ لأنَّ سبب كراهتهم هو أن تختلط بالقرآن، أما حين يؤمن من ذلك فإنهم كانوا يُجيزون كتابةَ الحديث، ولذلك فقد كتب بعضُهم الأحاديثَ في الصُّحف في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته[1]، وفيما يلي أذكر ما عُرف منها:

الصُّحُف التي كَتَبها الصحابةُ في الحديث:

١ ـ صحيفة سَعْد بن عُبَادة الأنصاري (المتوفى سنة ١٤ هـ) رضي الله عنه[2].

٢ ـ صحيفة عبد الله بن أبي أَوْفَى (المتوفى سنة٨٧ هـ) رضي الله عنه[3].

٣ ـ نسخة سَمُرَة بن جُنْدُبٍ (المتوفى سنة ٦٠ هـ) رضي الله عنه، جمع فيها أحاديثَ كثيرةً[4].

٤ ـ كتاب أبي رافع القِبْطِيّ (المتوفى في خلافة علي رضي الله عنه) مولى النبيِّ ﷺ، وفيه استفتاحُ الصَّلاة[5].

٥ ـ كُتب أبي هريرة (المتوفى سنة٥٧ هـ) رضي الله عنه[6].

---

(١) انظر: بحوث في تاريخ السنة المشرفة»: ص: ٢٩٤.

(٢) جامع الترمذي، كتاب الأحكام، باب اليمين مع الشاهد.

(٣) صحيح البخاري: «كتاب الجهاد»، أبواب الصبر عند القتال وإذا لم يقاتل في أول النهار صبر، ولا تمنوا لقاء العدو.

(٤) تهذيب التهذيب: (٤/ ٢٣٦).

(٥) الكفاية: ص: ٣٣٠.

(٦) جامع بيان العلم وفضله: (١/ ٧٣) وقد طُبعت صحيفة أبي هريرة بتحقيق الدكتور محمد حميد الله الحَيْدَرْآبادي (المتوفى سنة ٢٠٠٢ هـ).

٦ ـ صحيفة أبي موسى الأشعري[١] (المتوفى سنة ٥٠ هـ) رضي الله عنه.

٧ ـ صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري (المتوفى سنة ٧٨ هـ) رضي الله عنه[٢].

٨ ـ الصحيفة الصَّادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص (المتوفى سنة ٦٥ هـ) رضي الله عنه[٣]، وقد نقل الإمامُ أحمد محتواها في مسنده[٤].

٩ ـ صحيفة أبي سَلَمة نُبَيط بن شريط الأَشْجعي الكوفي رضي الله عنه[٥].

١٠ ـ الصحيفة الصحيحة لهَمَّام بن مُنَبِّه (المتوفى سنة ١٣١ هـ)، دَوَّنها ورواها عن أبي هريرة (المتوفى سنة ٥٩ هـ)، وتَضُمّ (١٣٨) حديثاً، وقد ذُكرت الصحيفةُ الصحيحةُ ضِمن ما كتبه الصحابة؛ لأنها في الحقيقة لأبي هريرة رضي الله عنه[٦].

---

(١) وهي مخطوطةٌ في مكتبة شهيد علي بتركيا. (انظر مقدمته لكتاب «الخلاصة في أصول الحديث» للطيبي: تحقيق الأستاذ صبحي السامرائي، ص: ١٠).

(٢) الطبقات الكبرىٰ: (٥/ ٤٦٧)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٤٣)، ذكر الحافظ الذهبي أنَّه في مناسك الحجّ. وهو مخطوطةٌ في مكتبة شهيد علي بتركيا.

(٣) جامع بيان العلم وفضله: (١/ ٧٣)، و«تقييد العلم» ص: ٨٤ ـ ٨٥. وذكر ابنُ الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٢٣٣) أنَّ عبد الله بن عمرو حفظ عن النبي ﷺ ألف مثل.

(٤) مسند أحمد: (٢/ ١٥٨).

(٥) وهي مخطوطةٌ في دار الكتب الظاهرية، حديث (٢٧٩)، وتقع في (١٣) ورقة، ومنها نسخةٌ أخرىٰ في فيض الله، ٢٥٩ : ٤ (انظر: تأريخ التراث العربي: ص: ٢٥٥).

(٦) طُبعت بتحقيق الدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادي، في مجلَّة «مجمع اللغة العربية» الصادرة عن دمشق، عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣)، ثم صدرت له طبعة مستقلّة عن المركز الثقافي الإسلامي بباريس، عام ١٩٧٩ م.

جهود التابعين في تدوين السُّنَّة

تَلَقَّى التابعون ـ رحمهم الله تعالى ـ السُّنَّةَ، بل الدِّينَ كلَّه عن الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ فقاموا بمُهِمَّة تبليغ الرسالة من بعد شيوخهم إلى الناس كافَّةً، فكانوا خيرَ جيلٍ بعد ذلك الجيل، وقد بذل جيلُ التابعين في خدمة السنة وتدوينها وحفظها جهوداً كبيرة[1].

كتابة الحديث في جيل التابعين فما بعدهم:

امتنع بعضُ كبار التابعين عن الكتابة، مثل:

١ ـ عُبيدة بن عمرو السّلماني (المتوفى سنة ٧٢ هـ).

٢ ـ وإبراهيم بن يزيد التَّيمي (المتوفى سنة ٩٢ هـ).

٣ ـ وجابر بن زيد (المتوفى سنة ٩٣ هـ).

٤ ـ وإبراهيم بن زيد النَّخَعي (المتوفى سنة ٩٦ هـ).

٥ ـ وعامر الشَّعبي (المتوفى سنة ١٠٣ هـ).

ولكنَّ البعض الآخر منهم كان يكتب الحديثَ مثل:

١ ـ سعيد بن جُبَيْر (المتوفى سنة٩٥ هـ).

٢ ـ وسعيد بن المُسَيَّب (المتوفى سنة ٩٤ هـ).

---

(١) انظر: «تدوين السنة» للزهراني، ص: ٩٣.

٣ ـ وعامر الشَّعبي (المتوفىٰ سنة ١٠٣ هـ).

٤ ـ والضَّحَّاك بن مُزاحِم (المتوفىٰ سنة ١٠٥ هـ).

٥ ـ والحَسَن البَصْري (المتوفىٰ سنة ١١٠ هـ).

٦ ـ ومُجاهِد بن جَبْر (المتوفىٰ سنة ١٠٣ هـ).

٧ ـ ورجاء بن حَيْوَة (المتوفىٰ سنة ١١٢ هـ).

٨ ـ ونافع مولىٰ ابن عمر (المتوفىٰ سنة ١١٧ هـ).

٩ ـ وقَتادة بن دِعَامة بن قتادة السَّدُوْسِي (المتوفىٰ سنة ١١٨ هـ)(١).

وبَرَز من جيل التابعين عددٌ من العلماء الذي اهتمّوا بكتابة الحديث واحتفظوا بأجزاء وصُحُفٍ كانوا يَروُونها.

الحَثُّ علىٰ التزام السُّنَّة وحفظها وكتابتها والتثبُّت في روايتها وسماعها في التابعين:

أقدِّم هنا بعضَ الأمثلة في حَثِّهم على كتابة السنة:

١ ـ روىٰ الخطيب بسنده من عِدَّة طُرُقٍ عن الإمام عامر الشَّعْبي أنه كان يقول: «إذا سمعت شيئاً فاكتبه، ولو في الحائط، فهو خيرٌ لك من موضعه من الصحيفة، فإنك تحتاج إليه يوماً ما»(٢).

٢ ـ عن الحسن البَصْري قال: «ما قيّد العلم بمثل الكتاب، إنما نكتبه لنتعاهده»(٣).

---

(١) سنن الدارمي: (١/ ١٢٦ ـ ١٢٩)، و«جامع بيان العلم وفضله»: (١/ ٧٢ ـ ٧٤).

(٢) تقييد العلم: ص: ١٠٠.

(٣) تقييد العلم: ص: ١٠١.

٣ ـ وعن سعيد بن جُبَيْر قال: «كنتُ أكتب عند ابن عبَّاسٍ في صحيفتي حتىٰ أملأها، ثم أكتب في ظهر نعلي، ثم أكتب في كفي»[١].

٤ ـ وعن صالح بن كَيْسان قال: «اجتمعتُ أنا والزهري ـ ونحن نصب العلمَ ـ فقلنا: نكتب السُّنَنَ، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم قال: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سُنَّةٌ، فقلت أنا: ليس بسُنَّةٍ فلا نكتبه، قال: فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعتُ».

٥ ـ وعن ابن شهاب الزهري قال: «لولا أحاديثُ تأتينا من قبل المشرق نُنكرها لا نعرفها، ما كتبت حديثاً ولا أذنت في كتابه»[٢].

٦ ـ روىٰ الخطيب من عِدَّة طُرُقٍ عن معاوية بن قُرَّة قال: «كنا لا نَعُدّ عِلْمَ مَن لم يَكْتُب علمَه علماً»[٣].

تدوينهم للسُّنَّة في الصُّحف:

انتشرت كتابةُ الحديث في جيل التابعين علىٰ نطاقٍ أوسع مما كان في زمن الصحابة، إذ أصبحت الكتابةُ ملازمةً لحلقات العلم المنتشرة في الأمصار الإسلامية آنذاك.

ولعلَّ من أسباب ذلك التوسُّعِ ما يلي:

١ ـ انتشارُ الرِّوايات، وطُول الأسانيد، وكثرة الرُّواة وكُنَاهم وأنسابهم.

٢ ـ موتُ كثيرٍ من حُفَّاظ السُّنَّة من الصحابة وكبار التابعين، فخِيْفَ بذهابهم أن يذهب كثيرٌ من السنة.

---

(١) تقييد العلم: ص: ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) المصدر السابق: ص: ١٠٧.

(٣) المصدر السابق: (ص: ١٠٧ ـ ١٠٨).

٣ ـ ضَعْفُ ملكةِ الحفظ مع انتشار الكتابة بين الناس وكثرة العلوم المختلفة.

٤ ـ ظهورُ البِدَعِ والأهواء وفَشْوُ الكذب، فحفاظاً على السُّنّة وحمايةً لها من أن يدخل فيها ما ليس منها شُرِع في تدوينها.

٥ ـ زوالُ كثيرٍ من أسباب الكراهة[1].

الصُّحُف التي كتبها التابعون:

وقد كُتب في هٰذا العصر من الصُّحف ما يفوق الحصرَ، منها:

١ ـ صحيفةُ أبي الزُّبير محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي (المتوفىٰ سنة ١٢٦ هـ)، الذي كتب بعضَ حديث الصحابي جابر بن عبد الله وحديثَ غيره[2].

٢ ـ وصحيفةُ أبي عدي الزُّبير بن عدي الهمداني الكوفي (المتوفىٰ سنة ١٣١ هـ)[3].

٣ ـ وصحيفةُ أبي العُشَراء الدَّارِمي: أسامة بن مالك[4].

---

(١) انظر «تدوين الحديث النبوي نشأته وتطوّره» للزهراني: ص: ٩٤ ـ ٩٥، و«دراسات في الحديث النبوي» (١/ ١٤٣ ـ ٢٢٠).

(٢) وصل إلينا من آثاره «أحاديث أبي الزبير عن غير جابر» جمعها أبو الشيخ الأنصاري (المتوفىٰ سنة ٣٦٩ هـ)، وهي مخطوطةٌ في الظاهرية مجموع ٥٣: ٣ ويقع في ١٨ ورقة (تأريخ التراث العربي: ص: ٢٥٧ ـ ١٥٨).

(٣) وصل إلينا بعضُ حديثه، الظاهرية مجموع ٢، ويقع في ٨ ورقات (تاريخ التراث العربي: ص: ٢٥٨).

(٤) وصل إلينا بعضُ حديثه، الظاهرية مجموع ٢٥: ١، ويقع في ٥ ورقات (تاريخ التراث العربي: ص: ٢٥٨).

٤ ـ وصحيفةُ زيد بن أبي أُنَيْسَة أبي أسامة الرَّهَاوي (المتوفى سنة ١٢٥ هـ)[١].

٥ ـ وصحيفةُ أيوب بن أبي تميمة السِّختياني (المتوفى سنة ١٣١ هـ)[٢].

٦ ـ وصحيفةُ يونس بن عبيد بن دينار العَبدي (المتوفى سنة ١٣٩ هـ)[٣].

٧ ـ وصحيفةُ أبي بُرْدَة بُرَيِّد بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري[٤].

٨ ـ وصحيفةُ حُمَيْد بن أبي حميد الطَّويل(المتوفى سنة ١٤٣ هـ)[٥].

٩ ـ وصحيفةُ هشام بن عُروة بن الزُّبير (المتوفى سنة ١٤٦ هـ)[٦].

١٠ ـ وصحيفةُ أبي عثمان عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخَطّاب (المتوفى سنة ١٤٧ هـ)[٧].

---

(١) وصل إلينا بعضُ حديثه، جَمَعه هلال بن العلاء الباهلي (المتوفى سنة ٢٨٠ هـ)، في الظاهرية، مجموع ٤ : ٢ ويقع في ١٦ ورقة (تاريخ التراث العربي : ص : ٢٥٩).

(٢) وصل إلينا بعضُ حديثه، جَمَعه إسماعيل بن إسحق القاضي البصري (ت ٢٨ هـ)، في الظاهرية، مجموع ٤ : ٢ ، ويقع في ١٥ ورقة (تاريخ التراث العربي : ص: ٢٥٩).

(٣) وَصل إلينا بعضُ حديثه، جمعه الحافظُ أبو نُعَيم الأصبهاني (المتوفى سنة ٣٤٠ هـ)، مخطوطة. (انظر: «تاريخ التراث العربي»: ١/ ٢٥٩).

(٤) وصل إلينا بعضُ حديثه مما اختاره أبو الحسن الدَّارَقُطني، وهي مخطوطةٌ. (انظر: «تاريخ التراث العربي»: ١/ ٢٦١).

(٥) وصلت إلينا صحيفتُه عن أنس بن مالك، وهي مخطوطةٌ. (انظر: «تاريخ التراث العربي» ١/ ٢٦١).

(٦) وهي مخطوطة، انظر: «تاريخ التراث العربي» (١/ ٢٦٠).

(٧) وهي مخطوطةٌ، انظر: «تاريخ التراث العربي»: (١/ ٢٦١).

جهود الإمامين (عمر بن عبد العزيز وابن شهاب الزهري) في تدوين السُّنَّة:

ثم جاء عمرُ بن عبد العزيز بن مروان إلىٰ الخلافة، فكتب إلىٰ أبي بكر بن حَزْم، عاملُه علىٰ المدينة: «انظر ما كان من حديث رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وسلَّم، أو سُنَّةٍ ماضيه، أو حديثِ عمرة فاكتبه، فإني خِفْتُ دروسَ العلم وذهابَ أهله»[1].

وأراد ـ رضي الله عنه ـ منه أن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمٰن الأنصاري (المتوفاة سنة ٩٨ هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر (المتوفىٰ سنة ١٢٠ هـ)[2].

وكتب عمرُ إلىٰ علماء المُدُنِ الاسلامية الأخرىٰ: «انظروا إلىٰ حديث رسول الله فاجمعوه»[3]، ولكن عمر بن عبد العزيز عاجلته المنيةُ قبل أن يبعث إليه أبو بكر بن حزم بما جَمَعَه[4]، وقد سأل الإمامُ مالك بن أنس ابنَه عبد الله ابن أبي بكر بن حزم عن تلك الكتب، فقال: ضاعت[5]. وعلىٰ أية حالة فإن هـٰذا الجمع لم يكن شاملاً.

أمَّا المحاولةُ الشاملةُ فقد قام بها إمامٌ جليلٌ آخر، وهو: محمد بن شِهَاب الزُّهري (المتوفىٰ سنة ١٢٤ هـ) حيث استجاب لطلب عمر بن عبد العزيز،

---

(١) انظر: «تقدمة لكتاب الجرح والتعديل»: لابن أبي حاتم: ص: ٢١. وقد خصَّ عمرة والقاسم: لأنهما أعلم الناس بحديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) فتح الباري: (١/ ٢٠٤): «الرسالة المستطرفة» ص: ٤.

(٣) الرسالة المستطرفة: ص: ٤.

(٤) تاريخ دمشق: (١٨/ ق ٩١).

(٥) المصدر السابق: (١٨/ ق ٩١).

وكان شغوفاً بجمع الحديث والسيرة، فجمع حديثَ المدينة المنوَّرة وقَدَّمه إلىٰ عمر بن عبد العزيز الذي بعث إلىٰ كلّ أرضٍ دفتراً من دفاتره[1]. وقد بقيت أحاديثُ الزهريِّ المدوَّنة في مكتبة الخلفاء الأمويِّين، فقد ذكر مَعْمَرُ بن راشد أنه عندما قُتل الوليد أخرجت الكتب التي كانت تحوي أحاديثَ الزهريِّ من خزائنه، وحملت علىٰ الدَّواب لكثرتها[2].

وبذلك مَهَّد الزهريُّ الطريقَ لمن أعقبه من العلماء المصنِّفين في القرن الثاني الهجري، حيث نشطت حركةُ تدوين الحديث ودَأَب العلماء علىٰ ذلك، وكان لفَشْوِ الوضع في الحديث أثرٌ في تأكيدهم علىٰ التدوين حفظاً للسنة ومنعاً للتلاعب فيها.

* * *

(١) جامع بيان العلم وفضله: (١/ ٧٦).

(٢) تاريخ دمشق: (١٧/ ق ١٨٠).



القسم الثاني

تدوينُ السُّنَّةِ في القرن الثاني الهجري

يشمل هٰذا القرنُ عصرَ جِيْلَين:

الأول: عصرُ جيل صغار التابعين إذ تأخَّرت وفاةُ بعضهم إلى ما بعد سنة (١٤٠ هـ) وقد سَبَق الكلامُ عن أثرهم وجهودهم في التدوين ضِمن الكلام عن جهود جيل التَّابعين.

أمَّا الجيل الثاني: فهم أتباعُ التابعين الحلقة الثالثة ـ بعد جيل الصحابة والتابعين ـ في سلسلة رواة السُّنَّة ونَقَلة الدِّين إلىٰ الأُمة، ولقد كان لهٰذا الجيلِ أثرهُ الرائد في التَّصَدِّي لأصحاب البِدَع والأهواء، ومقاومة الكذب الذي فشىٰ في هٰذا العصر علىٰ أيدي الزَّنادقة الذين بلغوا ذُرْوَةَ نشاطهم ضِدَّ السُّنَّة ورُواتها في منتصف هٰذا القرن؛ حتى اضطرَّ الخليفة المهدي إلىٰ تكليف أحد رجاله بتتبُّع أخبارهم والتضييق عليهم في أوكارهم، فأصبح ذلك الرجل يُعرَف بصاحب الزَّنادقة[1].

---

(١) قال الحافظ الذهبي في ترجمة المهدي في «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٠١): «وكان قصَّاباً في الزنادقة باحثاً عنهم»، وقال في «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٤٤): «وكثرة محاسنه ـ المهدي ـ وتتبعه لاستئصال الزنادقة». وانظر: «الفتاوىٰ» لابن تيمية (٤/ ٢٠)، وانظر قصة قتله للمقنع ومَن معه من الزنادقة في «البداية والنهاية» (١٠/ ١٤٥).

وقد نشط الأئمةُ والعلماءُ من هـٰذا الجيل في خدمة السُّنَّة وعلومها وحمايتها من كلِّ ما يشوبها، وعلىٰ أيديهم بدأ التدوينُ الشاملُ المبوَّبُ المرتَّبُ، بعد أن كان من قبلهم يَجمع الأحاديثَ المختلفةَ في الصُّحف والكراريس بشكلٍ محدودٍ وكيفما اتَّفق بدون تبويبٍ ولا ترتيبٍ[1].

كما نشأ وتفتَّق على أيديهم علمُ الرجال، بعد أن كان السؤالُ عن الإسناد قد بدأ في أواخر عصر الصحابة وكبار التابعين.

وكما كان لهـٰذا الجيل الرِّيادةُ في ابتداء التدوين المرتَّب علىٰ الأبواب والفصول، كذلك كانت له الرِّيادةُ في ابتداء التصنيف في علم الرجال، حيث أَلَّف في تاريخ الرجال كلٌّ مِن: اللَّيث بن سعد (المتوفىٰ سنة ١٧٥ هـ)، وعبد الله بن المبارك (المتوفىٰ سنة ١٨١ هـ)، وضَمْرَة بن ربيعة (المتوفىٰ سنة ٢٠٢ هـ)، والفَضْل بن دُكَيْن (المتوفىٰ سنة ٢١٨ هـ) وغيرهم.

ويُعتبر هـٰذا الجيلُ جيلَ التأسيس لعلوم السُّنَّة المطهَّرة، ولا غروَ ففيه عاش جَهَابِذَةُ رجال السُّنة أمثال الأئمة: مالك، والشَّافعي، والثَّوري، والأوزاعي، وشعبة، وابن المبارك، وإبراهيم الفزاري، وابن عُيَيْنة، والقطَّان، وابن مهدي، ووكيع وغيرهم كثيرٌ[2].

---

(١) قال الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٦٠) بعد ذكره ظهورَ البدع والأهواء وانتشارها في هـٰذا العصر: «وقام على هؤلاء علماء التابعين وأئمة السَّلف وحذروا من بدعهم، وشرع الكبار في تدوين السنن وتأليف الفروع وتصنيف العربية، ثم كثر ذلك في أيام الرشيد، وكثرت التصانيف، وألَّفوا في اللغات، وأخذ حفظ العلماء ينقص، ودُوِّنَت الكتب واتّكلوا عليها، وإنما كان قبل ذلك علم الصحابة والتابعين في الصدور فهي كانت خزائن العلم لهم، رضي الله عنهم».

(٢) انظر: «تدوين الحديث النبوي نشأته وتطوّره» للزهراني، ص: ١٠٠ ـ ١٠٢.

تطوُّرُ التدوين في هذا القرنِ:

وسأُوجز الكلامَ عن التدوين في هـٰذا القرن في ثلاث فقرات هي:

أ ـ ظُهورُ التفريق بين التدوين الذي هو مجرَّدُ الجمع، وبين التصنيف الذي هو الترتيبُ، والتبويبُ والتمييزُ في المصنَّفات في هـٰذا القرن.

ب ـ أنَّ هـٰذه المصنَّفات المدوَّنة في هـٰذا العصر قد جمعت إلىٰ جانب أحاديث الرسول ﷺ أقوالَ الصحابة وفتاوىٰ التَّابعين، بعد أن كانت تتناقل مشافهةً، وكانت الصُّحُفُ فيما مضىٰ تقتصر علىٰ الأحاديث النبوية فقط.

ج ـ طريقةُ التدوين في مصنَّفات هـٰذا القرن هي: جمعُ الأحاديث المتناسبة في بابٍ واحدٍ، ثم يجمع جملةً من الأبواب أو الكتب في مصنَّفٍ واحدٍ، بينما كان التدوينُ في القرن الماضي مجرَّد جمع الأحاديث في الصُّحُفِ بدون ترتيبٍ أو تمييزٍ[1].

د ـ إنَّ مادَّة المصنَّفات في هـٰذا القرن قد جُمعت من الصُّحُف والكراريس التي دُوِّنَتْ في عصر الصحابة والتابعين، ومما نقل مشافهةً من أقوال الصحابة وفتاوىٰ التابعين[2].

وقد حملت مصنَّفاتُ علماء القرن الثاني عناوينَ: «موطَّأ»، «مصنَّف»،

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «وهـٰذا بالنسبة إلىٰ الجمع بالأبواب، أمّا جمع حديثٍ إلىٰ مثله في بابٍ واحدٍ فقد كان سبق إليه الشعبيُّ، فإنه رُوي عنه أنه قال: هـٰذا بابٌ من الطلاق جسيمٌ، وساق فيه أحاديث». (انظر: «تدريب الراوي»: (١/ ٨٨ ـ ٨٩).
وقال الخطيب: «ولم يكن العلم مدوّناً أصنافاً ولا مؤلّفاً كتباً وأبواباً في زمن المتقدِّمين من الصحابة والتابعين، وإنما فعل ذلك من بعدهم، ثم حذا المتأخرون حذوهم». الجامع (٢/ ٢٨١).

(٢) انظر: «بحوث في تاريخ السنة المشرفة»، ص: ٢٣٤، و«الحديث والمحدثون» ص: ٢٤٤.

«جامع»، «سُنَن»، وبعضها كان بعناوين خاصَّةٍ مثل: «الجهاد»، «الزُّهد»، «المَغَازي»، و«السِّيَر». . . .

ممَّن اشتهر بوضع المصنَّفاتِ في الحديث في هذا العصر:

١ - أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْج (المتوفى سنة ١٥٠ هـ) بمَكَّة.

٢ - محمد بن إسحق بن يَسَار (المتوفى سنة ١٥١ هـ) بالمدينة.

٣ - مَعْمَرُ بن راشد الأزدي (المتوفى سنة ١٥٣ هـ) باليَمَن، وقد ضَمَّنه الإمامُ عبدُ الرزَّاق الصَّنْعاني مصنَّفَه.

يقع جامعُه في عشرة أجزاء، وصلت إلينا منها خمسة الأجزاء الأخيرة[١].

٤ - سعيد بن أبي عَرُوْبَة (المتوفى سنة ١٥٦ هـ) بالبَصْرَة.

٥ - أبو عمرو عبد الرحمٰن بن أبي عمرو الأوزاعي (المتوفى سنة ١٥٦هـ) بالشَّام.

٦ - محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ذِئْب (المتوفى سنة ١٥٨ هـ) بالمدينة.

٧ - الرَّبيع بن صَبِيْح (المتوفى سنة ١٦٠ هـ) بالبَصْرَة.

٨ - شُعْبَة بن الحَجَّاج (المتوفى سنة ١٦٠ هـ) بالبَصْرَة.

٩ - أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثَّوري (المتوفى سنة ١٦١ هـ) بالكُوفة.

١٠ - اللَّيث بن سَعْد المصري (المتوفى سنة ١٧٥ هـ) بمصر.

١١ - أبو سَلَمة حَمَّاد بن سلمة بن دينار (المتوفى سنة ١٧٦ هـ) بالبَصْرَة.

---

(١) وهي مخطوطة في تركيا.

١٢ ـ الإمام مالك بن أنسٍ (المتوفى سنة ١٧٩ هـ) بالمدينة، حيث صَنَّف «الموطأ»، وتوخَّى فيه القويَّ من حديث أهل الحجاز[١].

١٣ ـ عبد الله بن المُبَارَك (المتوفى سنة ١٨١ هـ) بُخرَاسان.

وَصَل من مصنَّفاته: «كتاب الزهد»، و«الرقائق»، و«كتاب الجهاد»، ويوجَد قسمٌ من مسنده مخطوطاً[٢].

١٤ ـ هُشيم بن بشير (المتوفى سنة ١٨٨ هـ) بواسطٍ.

١٥ ـ جرير بن عبد الحميد الضَّبِّيّ (المتوفى سنة ١٨٨ هـ) بالرَّيِّ.

١٦ ـ عبد الله بن وَهْب (المتوفى سنة ١٩٧ هـ) في جامعه[٣].

١٧ ـ سفيان بن عُيَيْنَة (المتوفى سنة ١٩٨ هـ) بمَكَّة[٤].

١٨ ـ وكيع بن الجَرَّاح الرُّؤاسي[٥] (المتوفى سنة ١٩٧ هـ).

١٩ ـ عبد الرَّزّاق بن هَمَّام الصَّنْعَاني[٦] (المتوفى سنة ٢١١ هـ).

---

(١) ولذلك رأى ابنُ العربي، أنَّ الإمام مالك أول من صَنَّف الصحيحَ (الرسالة المستطرفة: ص: ٦)، ولكن أكثر العلماء ذهبوا إلى أنَّ البخاري أول من صَنَّف في الصحيح؛ لأن «الموطأ» يحتوي على المُرسَل والمنقطع والبلاغات، وإن كان العلماء قد وصلوها جميعاً من غير طريق مالكٍ.

(٢) انظر: «تاريخ التراث العربي»: (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١).

(٣) منه نسخة قديمة في مكتبة تشستربتي بدبلن، ذكرها آربري تحت رقم: (٣٤٩٧)، وقد طُبع جامع ابن وهب في المعهد الفرنسي.

(٤) بقيت أوراق من حديثه (تأريخ التراث العربي: ١/ ٢٧٣)، كما بقي جزءٌ من حديثه في ٦ أوراق في مكتبة الشيخ سليمان بن صالح بن بسام الخاصة بعنيزة.

(٥) بقيت أوراقٌ من كتاب الزهد له وأوراق من حديثه (تاريخ التراث العربي: ١/ ٢٧٤).

(٦) مصنَّفُه مطبوع بتحقيق الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي (المتوفى سنة ١٤١٢ هـ).

٢٠ ـ سعيد بن منصور (المتوفىٰ سنة ٢٢٧ هـ)، صاحب السُّنَن[١].

٢١ ـ ابن أبي شَيْبَة (المتوفىٰ سنة ٢٣٥ هـ)، صاحب المصنَّف[٢].

وكانت طريقتهم في جمع الحديث أنهم يضعون الأحاديثَ المتناسبةَ في بابٍ واحدٍ ثم يضعون جملةً من الأبواب بعضها إلىٰ بعضٍ، ويجعلونها في مصنَّفٍ واحدٍ ويخلطون الأحاديثَ بأقوال الصحابة وفتاوىٰ التابعين»[٣]. وقد حملت المصنَّفات الأولىٰ هٰذه عناوينَ، مثل: «مصنَّف» و«سُنَن» و«موطأ» و«جامع»، وجمعت مادتها من الأجزاء والصُّحُف التي دُوِّنَتْ قبل مرحلة التصنيف[٤].

* * *

---

(١) سننه مطبوعة بتحقيق الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي.

(٢) وهو مطبوعٌ بتحقيق الشيخ محمد عوامة في (٢٣) مجلّداً، في دار القبلة بجدة، عام ١٤٢٧ هـ.

(٣) انظر: «الحديث والمحدِّثون»: ص: ٢٤٤.

(٤) تاريخ التراث العربي: ص: ٢٦٢.



القسم الثالث

تدوين السُّنَّة في القرن الثالث الهجري

يُعتبر هـٰذا القرنُ عصرَ ازدهار العلوم الإسلامية عامّةً، وعلوم السنة النبوية خاصّةً، بل يُعَدُّ هـٰذا القرنُ من أزهىٰ عصور السُّنّة النبوية، إذ نشطت فيه الرحلةُ لطلب العلم، ونشط فيه التأليفُ في علم الرجال، وتوسَّع في تدوين الحديث، فظهرت كتبُ المسانيد والكتب السِّتّة ـ الصِّحَاح والسُّنَن ـ التي اعتمدتها الأمةُ واعتبرتها دواوينَ الإسلام[1].

وفي هذا القرن بدأ العلماءُ يقصرون المصنَّفات علىٰ الأحاديث حاذفين أقوالَ الصحابة والتابعين من كتب الحديث، وقد رتَّبوا الأحاديثَ علىٰ طريقة المسانيد بأن جمعوا أحاديثَ كلِّ صحابيٍّ علىٰ حِدَةٍ وإن تباينت المواضيع التي تناولتها، وممن عُرف من أوائل المصنِّفين للمسانيد:

١ ـ عبد الملك بن عبد الرحمـٰن الذِّمَاري (المتوفىٰ سنة ٢٠٠ هـ).

٢ ـ أبو داود الطَّيالِسِي (المتوفىٰ سنة ٢٠٤ هـ)[2]، وليس هو مِن تصنيف الطَّيالسي، وإنما هو من جمع بعض الحُفّاظ الخراسانيين، جمع فيه ما رواه يونسُ بن حبيب خاصةً عن أبي داود، ولأبي داود من الأحاديث التي لم تدخل

---

(١) تدوين الحديث: نشأته وتطوّره: للزهراني: ص: ١٠٩.

(٢) مسنده مطبوعٌ بحيدر آباد (الدَّكَن) عام ١٣٢١ هـ.

هٰذا المسندَ قدره أو أكثر، بل قد شَذَّ عنه كثيرٌ من رواية يونس عن أبي داود[1].

٣ ـ محمد بن يوسف الفِرْيابي (المتوفىٰ سنة ٢١٢ هـ).

٤ ـ أسد بن موسىٰ الأُمَوي (المتوفىٰ سنة ٢١٢ هـ).

٥ ـ عبيد الله بن موسىٰ العَبْسي (المتوفىٰ سنة ٢١٣ هـ).

٦ ـ عبد الله بن الزُّبَيْر الحُمَيْدي[2] (المتوفىٰ سنة ٢١٩ هـ).

٧ ـ أحمد بن مَنِيْع البَغَوي (المتوفىٰ سنة ٢٢٤ هـ)[3].

٨ ـ نعيم بن حَمّاد الخُزاعي[4] (المتوفىٰ سنة ٢٢٨ هـ).

٩ ـ مُسَدَّد بن مُسَرْهَد البصري (المتوفىٰ سنة ٢٢٨ هـ).

١٠ ـ أبو الحسن علي بن الجَعْد الجوهري[5] (المتوفىٰ سنة ٢٣٠ هـ).

١١ ـ عبد الله بن محمد الجُعْفي المسندي (المتوفىٰ سنة ٢٢٩ هـ).

١٢ ـ يحيىٰ بن مَعين[6] (المتوفىٰ سنة ٢٣٣ هـ).

١٣ ـ أبو خَيْثَمة زُهير بن حَرْب (المتوفىٰ سنة ٢٣٤ هـ).

١٤ ـ أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان ـ ابن أبي شيبة[7] ـ (المتوفىٰ سنة ٢٣٥ هـ).

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٩/ ٣٢).

(٢) طُبع المجلد الأول من مسنده في كراتشي عام ١٩٦٣ م.

(٣) اقتبس منه مغلطاي في «الزهر الباسم» (١٢٢ أ).

(٤) بقي من مصنَّفاته: «كتاب الفتن» مخطوطاً. (انظر: «تاريخ التراث العربي»: ١/ ٢٨٨).

(٥) وصل إلينا بعضُ أجزائه، (انظر: «تاريخ التراث العربي: ١/ ٢٨٩).

(٦) له مخطوطة في الظاهرية، كتب علىٰ أولها «الجزء الثاني من حديث يحيىٰ بن معين»، والأحاديث فيها متنوّعةٌ، ولم يرتِّبها علىٰ أسماء الصحابة ولا وفق ترتيب آخر.

(٧) له مخطوطٌ، ذكره سزكين في «تاريخ التراث العربي» (١/ ٢٩٢).

١٥ ـ إسحق بن رَاهُوْيَهْ (المتوفى سنة ٢٣٨ هـ)[١].

١٦ ـ أحمد بن حنبل (المتوفى سنة ٢٤٠ هـ) وهو مطبوعٌ.

١٧ ـ خليفة بن خَيَّاط (المتوفى سنة ٢٤٠ هـ) وهو مفقودٌ[٢].

١٨ ـ إسحاق بن إبراهيم بن نصر السَّعدي (المتوفى سنة ٢٤٢ هـ).

١٩ ـ أبو محمد الحسن بن علي الحُلْواني (المتوفى سنة ٢٤٢ هـ).

٢٠ ـ عبد بن حميد[٣] (المتوفى سنة ٢٤٩ هـ).

٢١ ـ إسحاق بن منصور (المتوفى سنة ٢٥١ هـ).

٢٢ ـ محمد بن هشام السَّدُوْسِي (المتوفى سنة ٢٥١ هـ).

٢٣ ـ عبد الله بن عبد الرحمـٰن الدَّارِمي (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ)، طُبع منه المجلَّد الأول.

٢٤ ـ أحمد بن سِنَان القَطَّان الواسِطي (المتوفى سنة ٢٥٦ هـ)، وهو مُخَرَّجٌ على الرجال[٤].

٢٥ ـ محمد بن مهدي (المتوفى سنة ٢٧٢ هـ).

٢٦ ـ بَقِيُّ بن مَخْلَد (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ)[٥]، وهو مفقودٌ سِوىٰ مقدمته[٦].

---

(١) له مخطوطٌ، ذكره سزكين في «تاريخ التراث العربي» (١/ ٢٩٨).

(٢) وقد جمع مقتطفات منه الدكتور أكرم ضياء العمري، ونشرها.

(٣) وصل إلينا جزءٌ صخمٌ منه، وهو مخطوطٌ. انظر: «تاريخ التراث العربي» (١/ ٣٠٣).

(٤) سير أعلام النبلاء: (١٢/ ٢٤٤).

(٥) قال الحافظ ابن حجر «النكت» (ص: ٢٤٢): «كما روينا عن إسحق ابن رَاهُوْيَهْ أنه انتقى في مسنده أَصَحَّ ما وجده من حديث كل صحابيٍّ إلا أن لا يجد ذلك المتن إلا من تلك الطريق، فإنه يخرجه ونحا بقي بن مخلد في مسنده نحو ذلك».

(٦) وقد نشرها الدكتور أكرم ضياء العُمري.

٢٧ ـ أبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة داهر التميمي[١] (المتوفى سنة ٢٨٢ هـ)، ولم يرتِّبه على الصحابة ولا على الأبواب[٢].

٢٨ ـ أبو بكر أحمد بن عمرو البَزَّار[٣] (المتوفى سنة ٢٩٢ هـ)، وقد طُبع القسم الموجود منه.

٢٩ ـ إبراهيم بن مَعْقل النَّسَفي (المتوفى سنة ٢٩٥ هـ).

٣٠ ـ أبو العباس الحسن بن سفيان بن عامر النَّسَوي (المتوفى سنة: ٣٠٣ هـ)[٤].

٣١ ـ أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثَنَّى الموصلي (المتوفى سنة ٣٠٧ هـ)[٥].

٣٢ ـ أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني (المتوفى سنة ٣٠٧ هـ)[٦].

٣٣ ـ أبو حفص عمر بن بجير الهمداني السَّمَرْقَندي البُجَيْري (المتوفى سنة ٣١١ هـ) في كتابه «الجامع المسند»[٧].

٣٤ ـ أبو العباس محمد بن إسحاق السَّرَّاج (المتوفى سنة ٣١٣ هـ)[٨].

---

(١) منه مختارات بعنوان «المنتقى»، وهي مخطوطة، انظر: «تاريخ التراث العربي» (١/ ٤٠٦).

(٢) سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٣٨٨).

(٣) يُوجَد الجزء الأول منه في أوله نقص، وهو مخطوط. انظر: «تاريخ التراث العربي» (١/ ٤١١).

(٤) انظر: «تاريخ التراث العربي»: ص: ٤٢٧.

(٥) وهو مخطوطٌ، انظر «تاريخ التراث العربي» ص: ٤٢٩ ـ ٤٣٠، أمّا مسنده الكبير فهو مفقودٌ.

(٦) وهو مخطوطٌ، انظر: «تاريخ التراث العربي» ص: ٤٣٠.

(٧) وهو مخطوطٌ في الظاهرية، حديث ٢٧٦ (قسم ٣٠).

(٨) بقيت مختارات منه في الظاهرية، مجموع ٢(٦٧ أ ـ ٧٦ ب).

٣٥ ـ أبو محمد عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرَّازي (المتوفىٰ سنة ٣٢٧ هـ)[١].

٣٦ ـ أبو سعيد الهيثم بن كُلَيْب بن شُرَيْح الشَّاشي (المتوفىٰ سنة ٣٣٥ هـ) في المسند الكبير[٢] وهو مطبوعٌ.

٣٧ ـ أبو نُعَيْم الأصبهاني (المتوفىٰ سنة ٤٣٠ هـ) في المسند[٣].

وقد وصلت إلينا بعضُ هٰذه المسانيد ـ كما ذكرتُ في الحواشي ـ، ولا يمكن الجزمُ بفقدان المصنَّفات والمسانيد الأخرىٰ، فهنٰاك الألوفُ من المخطوطات العربية في مكتبات إسطنبول والمغرب والمكتبات الأخرىٰ في أرجاء العالم التي لا توجد لدينا فهارسٌ شاملةٌ عن بعضها، وقد يكون فيها بعضُ المصنَّفات والمسانيد التي نحسبها مفقودةً.

وعلىٰ أية حالٍ فإنَّ هٰذه المسانيد لم تقتصر علىٰ جمع الحديث الصحيح، بل احتوت علىٰ الأحاديث الضعيفة أيضاً مما يجعل من الصعوبة الإفادةَ منها إلا من قبل العلماء المتضلِّعين في الحديث وعلومه. وكذلك فإنَّ طريقة الترتيب تجعل من الصعوبة الوقوف علىٰ أحاديث حكمٍ معيَّنٍ؛ لأنها لم تُرَتَّبْ علىٰ أبواب الفقه، مما حدا بالإمام محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفىٰ سنة ٢٥٦ هـ) إلىٰ تصنيف كتابه «الصحيح» الذي يقتصر علىٰ الأحاديث الصحيحة وإن كان لا يستوفيها جميعاً، وجرىٰ علىٰ مِنواله الإمامُ مسلم بن الحَجَّاج

---

(١) تذكرة الحفاظ (٨٣٠)، و«طبقات الشافعية» (٣/ ٣٢٥) (ط. الطناحي).

(٢) وهو مخطوط في الظاهرية، حديث ٢٧٧ (قسم ٥، ٨، ١٥) ويقع في ١٩٢ ورقة، وقد طُبعت ثلاثة مجلدات منه بتحقيق الدكتور محفوظ الرحمٰن زين الله، ونشرته مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، عام ١٤١٠ هـ.

(٣) منه نسخة خطية عليها سماعات سنة ٦٤٥ هـ في دار الكتب المصرية ٤١٧ حديث ٢٩٩ ورقة ١٣ في ٢٤ سم.

النَّيسابوري (المتوفىٰ سنة ٢٦١ هـ) في صحيحه، وقد رَتَّبا صحيحيهما علىٰ أبواب الفقه تسهيلاً علىٰ العلماء والفقهاء عند الرجوع إليهما في حُكمٍ مُعيَّنٍ.

وقد اعتبر العلماءُ «صحيحي البخاري ومسلم» أصَحَّ كتب الحديث، وقد اعتمد كلٌّ منهما في تصنيف كتابه علىٰ كتب المسانيد وصُحُفِ الحديث الأخرىٰ التي تلقَّاها سماعاً عن شيوخه الذين صنَّفوها أو نقلوها عن مصنِّفيها بإسنادهم إليهم، إضافةً إلىٰ الروايات الشَّفَهِيّة التي أضافها كلٌّ من البخاري ومسلم إلىٰ صحيحيهما، وبذلك حفظا مادةَ كثيرٍ من كتب المسانيد المفقودة.

وقد تابعهما في الترتيب علىٰ أبواب الفقه معاصروهم والمتأخِّرون عنهم، أمثال:

١ ـ الإمام أبي داود، سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفىٰ سنة ٢٧٥ هـ) في سُنَنه.

٢ ـ والإمام ابن ماجَهْ، محمد بن يزيد القَزْوِيْني (المتوفىٰ سنة ٢٧٣، وقيل سنة ٢٧٥ هـ) في سُنَنه.

٣ ـ والإمام أبو عيسىٰ، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرَة السُّلَمي التِّرْمذي (المتوفىٰ سنة ٢٧٩ هـ) في جامعه.

٤ ـ والإمام أبو عبد الرحمـٰن، أحمد بن شعيب بن علي النَّسَائي (المتوفىٰ سنة ٣٠٣ هـ) في سُنَنه.

وقد اعتبر العلماءُ القرنَ الثالثَ أسعد عصور السُّنَّةِ وأزهاها، ففيه دُوِّنَتِ الكتبُ السِّتَةُ التي اعتمدتها الأمةُ، ونشطت رحلةُ العلماء، وكان اعتمادهم علىٰ الحفظ والتدوين معاً، فكان النَّشاطُ العلميُّ قوياً خلاله، فبرز العلماءُ والنّقادُ، وتجلَّت ثمارُ هـٰذا النشاطِ في تدوين الصحاح. وقد اقتصر دورُ العلماء في القرون التالية علىٰ الجمع بين كتب السَّابقين أو اختصارها بحذف الأسانيد أو

تهذيبها أو إعادة ترتيبها، وهكذا انصبَّ اهتمامهم على الكتب المُدَوَّنة، وقلَّت بينهم الروايةُ الشفهيةُ، لذلك اعتبر الحافظُ الذهبيُّ[1] رأسَ سنة ثلاثمئة للهجرة الحَدَّ الفاصلَ بين المتقدِّمين والمتأخِّرين من نُقَّاد الحديث[2].

وقد بَرَز في هذا العصر كثيرٌ من الأئمة الحُفَّاظ والنُّقَّاد والعلماء الجَهَابِذَة من أمثال:

١ ـ أحمد بن حَنْبَل الشَّيْباني (المتوفى سنة ٢٤١ هـ).

٢ ـ إسحاق بن رَاهُوْيَهْ الحَنْظَلي المَرْوَزي (المتوفى سنة ٢٣٨ هـ).

٣ ـ عليّ بن المَدِيني (المتوفى سنة ٢٣٤ هـ).

٤ ـ يحيى بن مَعِين (المتوفى سنة ٢٣٣ هـ).

٥ ـ محمد بن مسلم بن عثمان بن وَارَة (المتوفى سنة ٢٧٠ هـ).

٦ ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البُخَاري (المتوفى سنة ٢٥٦ هـ).

٧ ـ مسلم بن الحَجَّاج القُشَيري (المتوفى سنة ٢٦١ هـ).

٨ ـ أبو زُرْعَة، عبيد الله بن عبد الكريم الرَّازي (المتوفى سنة ٢٦٤ هـ).

٩ ـ أبو حاتم، محمد بن إدريس الحَنْظَلي الرَّازي (المتوفى سنة ٢٧٧ هـ).

١٠ ـ عثمان بن سعيد الدَّارمي (المتوفى سنة ٢٨٠ هـ).

١١ ـ عبد الله بن عبد الرحمٰن الدَّارِمي (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ).

وغيرهم كثيرٌ ممن كان على أيديهم تأسيسُ كثيرٍ من علوم الحديث عموماً، وعلم الجرح والتعديل خصوصاً.

---

(١) في «ميزان الاعتدال» (١/ ٨).

(٢) انظر: «بحوث في تاريخ السنة المشرَّفة» ص: ٣٠٣ ـ ٣٠٨.

مميّزات التدوين في هذا القرن:

وقد تميَّز التدوين في هـٰذا القرن بما يلي:

١ ـ تجريدُ أحاديث رسول الله ﷺ وتمييزُها عن غيرها، بعد أن كانت قد دُوِّنت في القرن الثاني ممزوجةً بأقوال الصَّحابة وفتاوىٰ التابعين.

٢ ـ الاعتناءُ ببيان درجة الحديث من حيثُ الصِّحَّة والضَّعْف.

٣ ـ تنوُّعُ المصنَّفات في تدوين السُّنَّة، حيثُ ظهرت الأنواعُ التالية:

أ ـ كتبُ المسانيد التي تعنىٰ بجمع أحاديث كلِّ صحابيٍّ علىٰ حِدَةٍ كـ: «مسند الإمام أحمد» وغيره.

ب ـ كتبُ الصِّحاح والسُّنَن التي تعنىٰ بتصنيف أحاديث رسول الله ﷺ علىٰ الكتب والأبواب مع العناية ببيان الصحيح من غيره كالكتب السِّتَّة (أي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه) وغيرها.

ج ـ كتبُ مختلف الحديث ومُشكلها مثل:

ـ اختلاف الحديث: للإمام محمد بن إدريس الشَّافعي (المتوفى سنة ٢٠٤ هـ).

ـ واختلاف الحديث: لعليِّ بن المَدِيْنِي (المتوفى سنة ٢٣٤ هـ).

ـ وتأويل مختلف الحديث: لابن قُتَيْبَة الدِّيْنَوَرِي (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ) وغيرها[1].

وهناك الكثيرُ من المصنَّفات في هـٰذا القرن، اكتفينا بذكر القليل منها إشارةً إلىٰ الكثير.

* * *

---

(١) انظر: «الحديث والمحدِّثون» ص: ٣٦٣ ـ ٣٦٥، و«تدوين السنة النبوية. . .» للزهراني، ص: ١١٠ ـ ١١١.



القسم الرابع

تدوين السنة في القرن الرابع الهجري

لقد استمرّت عمليةُ جمع الحديث وتدوينه في القرن الرابع حتىٰ نهاية القرن الخامس، ومؤلَّفاتُ هـٰذين القرنَيْن كانت إمَّا علىٰ طريقة المسانيد، أو علىٰ الأبواب، أو المَعاجِم، أو علىٰ طريقة المُسْتَدْرَكات، أو المُسْتَخْرَجات، أو علىٰ طريقة بيان العِلَل، أو غير ذلك، وتفاوتت قيمةُ هـٰذه المؤلَّفات نظراً لتفاوُتِ الثقة فيها؛ لأن مِن علمائها مَن تَحَرَّىٰ جمعَ الصحيح في كتابه مثل الكتب المُسْتَخْرَجة علىٰ الصَّحيحَين، أو التي التزمت إخراجَ الصحيح مثل:

١ ـ **صحيح ابن خُزَيْمَة**: للإمام أبي بكر، محمد بن إسحاق ابن خُزَيْمَة بن المُغيرة السُّلَمي النَّيسابوري (المتوفىٰ سنة ٣١١ هـ).

٢ ـ **وصحيح ابن السَّكَن**: للحافظ أبي علي، سعيد بن عثمان بن سعيد بن السَّكَن البغدادي المصري (المتوفى سنة ٣٥٣ هـ).

٣ ـ **وصحيح ابن حِبّان**: للإمام أبي حاتم، محمد بن حِبّان بن أحمد بن معاذ التَّميمي الدَّارمي البُسْتِي (المتوفى سنة ٣٥٤ هـ).

٤ ـ **والمستدرك على الصَّحيحَين**: للحاكم أبي عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد بن حَمْدُوْيَهْ الضَّبِّيّ النَّيْسَابوري (المتوفى سنة ٤٠٥ هـ).

إلا أنَّ مؤلِّفيها لم يبلغوا في مصنَّفاتهم المذكورة في تحرِّي الصحيح شَأْوَ

الإمامين البخاري ومسلم بسبب تساهُلِهم في التصحيح والتحسين، ولذلك احتاجَ مستدركُ الحاكم خاصةً إلىٰ تعليق الذهبي علىٰ أحاديثه[1].

ومنهم مَن نَهَجوا في مؤلَّفاتهم منهجَ أصحاب السُّنَن في الاقتصار علىٰ أحاديث السُّنَن والأحكام، مع اشتمالها علىٰ الصحيح وغيره، وذلك مثل:

١ ـ **المنتقىٰ المختار من السُّنَن المُسْنَدة عن رسول الله ﷺ في الأحكام**: للحافظ أبي محمد، عبد الله بن علي النَّيسابوري، المعروف بـ: «ابن الجارود» (المتوفى سنة ٣٠٧ هـ).

٢ ـ **السُّنَن**: للإمام أبي الحسن، علي بن عمر بن أحمد الدَّارَقُطْنِي البغدادي (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ).

٣ ـ **السُّنَن الكبرى**: لأبي بكر، أحمد بن الحسين بن علي البَيْهَقِي (المتوفىٰ سنة ٤٥٨ هـ)، وهو متأخِّرٌ وفاةً لكن يمكن عَدُّه في القرن الرابع تجوُّزاً لتقارب كتب السُّنَن.

وكذلك نجد من اعتنى في هٰذا القرن بالتأليف في مختلف الحديث ومُشكِله، كما في كتابي الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطَّحاوي (المتوفىٰ سنة ٣٢١ هـ) التاليَيْن:

١ ـ شرح معاني الآثار.

٢ ـ ومشكل الآثار، وغيرهما...

وذلك تتميماً ـ وتكميلاً ـ لما بدأه الإمامُ محمد بن إدريس الشافعي (المتوفىٰ سنة ٢٠٤ هـ) في كتابه: «اختلاف الحديث»، والحافظُ ابن قُتَيْبَة الدِّيْنَوَرِيّ (المتوفىٰ سنة ٢٧٦ هـ) في كتابه: «تأويل مختلف الحديث» وغيرهما مما أُلّف في ذلك النوع في القرن الثالث.

---

(١) انظر: «علوم الحديث: أصيلها ومعاصرها» ص: ٦١.

كما ظهر في هذا القّرن ـ ولأوّل مَرّةٍ ـ نوعان من المصنَّفات، وهما:

أولاً: كتب علم مصطلح الحديث:

والتي جمعت تلك القواعدَ التي كانت متفرِّقةً في كُتب مَن سَبَقَهم من علماء القرنَيْن الثاني والثالث، مثل: «الرسالة» للشَّافعي، ومقدمة «صحيح مسلم» وكتابه «التمييز»، وكتب الرجال والعِلَل، فقَيَّض الله عزَّ وجلَّ من جمعها وسَهَّلها على طلبة العلم.

ويُعدّ الكتب التالية من الكتب الرائدة في هذا العلم:

١ ـ **المحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي**: لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خَلَّاد الفارسي، المعروف بـ: «الرَّامَهُرْمُزِيّ» (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ).

٢ ـ **معرفة علوم الدين وكمية أجناسه**: للحاكم أبي عبد الله، محمد بن عبد الله النَّيسابوري (المتوفى سنة ٤٠٥ هـ).

٣ ـ **الكفاية في معرفة أصول علم الرواية**: للحافظ أبي بكر، أحمد بن علي ابن ثابت، المعروف بـ: «الخطيب البغدادي» (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ).

ثم توالى التأليفُ فيه وظهر كتب قيمة مثل: «علوم الحديث» المعروف بـ: «مقدمة ابن الصلاح» (المتوفى سنة ٦٤٣ هـ). وغير ذلك كتبٌ كثيرةٌ، لا يسع المقامُ هنا لذكرها[1].

ثانياً: كتب المستخرجات:

وهي الكتب التي يروي فيها أصحابُها أحاديثَ كتابٍ في الحديث ـ حديثاً

---

(١) للاطلاع على تاريخ علم مصطلح الحديث نشأةً وتطوّراً؛ يرجع إلى كتابنا: «علم مصطلح الحديث: نشأته وتطوره وتكامله» طبع دار ابن كثير ـ دمشق.

حديثا ـ بإسناده، من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع مع صاحب الأصل في طبقةٍ من طبقات السَّند في شيخه، أو فيمن فوقه وحتى في الصحابي، مثل:

(أ) المستخرجات على «صحيح البخاري»:

١ ـ للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي الجُرجاني (المتوفى سنة ٣٧١ هـ).

٢ ـ وللحافظ أبي أحمد محمد بن أبي حامد الغِطريفي (المتوفى سنة ٣٧٧ هـ).

٣ ـ وللحافظ أبي عبد الله محمد بن العباس المعروف بـ: «ابن أبي ذُهْل» (المتوفى سنة ٣٧٨ هـ).

(ب) المستخرجات على «صحيح مسلم»:

١ ـ للحافظ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الإسفرائيني، المعروف بـ: «أبي عَوَانة» (المتوفى سنة ٣١٠ هـ)[١].

٢ ـ وللحافظ أبي جعفر أحمد بن حمدان الحِيَري النَّيسابوري (المتوفى سنة ٣١١ هـ).

٣ ـ وللحافظ أبي حامد أحمد بن شارك الشَّاركي الهَرَوي (المتوفى سنة ٣٥٥ هـ).

(ج) المستخرجات على الصَّحيحين:

١ ـ للحافظ أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف النَّيسابوري، المعروف بـ: «ابن الأَخْرَم» (المتوفى سنة ٣٤٤ هـ).

---

(١) وهو يُسَمّى بـ: «صحيح أبي عوانة» و«مُسند أبي عوانة» أيضاً.

٢ ـ وللحافظ أبي بكر أحمد بن محمد غالب البَرْقاني (المتوفى سنة ٤٢٥ هـ).

٣ ـ وللحافظ أبي نُعَيْم الأصبهاني (المتوفى سنة ٤٣٠ هـ) صاحب «حلية الأولياء».

وغير ذلك كثيرٌ من المستخرجات على كتب أخرى، اكتفينا هنا بذكر الأشهر منها.

وهناك أنواعٌ أخرى من المصنَّفات في مجال تدوين السُّنّة ظهرت في هذا القرن، مثل:

١ ـ **المعاجم الثَّلاثة (وهي: «المعجم الكبير» و«المعجم الأوسط» و«المعجم الصغير»)**: للحافظ أبي القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب اللَّخْمِي الطَّبَراني (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ).

٢ ـ **والعلل الواردة في الأحاديث النبوية**: للإمام أبي الحسن، علي بن عمر الدَّارقُطْني (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ).

أمَّا في القرن الخامس الهجري، فقد سلك علماءُ السُّنَّة طُرُقاً أخرىٰ ومجالاتٍ جديدةً لتدوين السُّنَّة وحِفظها وجمعها، حيث ظهرت في هٰذا القرن النُّواة الأولىٰ للموسوعات الحديثية ومن ذلك:

١ ـ كتب الجمع بين الصحيحين.

٢ ـ وكتب الجمع بين السِّتّة وغير ذلك، وسيأتي لذلك مزيدُ تفصيلٍ في القسم الآتي بإذن الله.

* * *



القسم الخامس

تدوين السُّنَّة في القرن الخامس الهجري

لقد ابتكر علماءُ هٰذا القرنِ طريقةً جديدةً للمساهمة في خدمة السُّنَّة المطهَّرة في مجال تدوينها وحِفظها، فكانت تلك الطريقةُ هي النَّواة الأولىٰ للموسوعات الحديثية بعد، وهٰذا الابتكارُ الجديدُ هو الجمعُ بين كتب الحديث المؤلَّفة سابقاً مثل: «الصِّحاح» و«السُّنَن» وغيرهما، ومن أهم المصنَّفات في هٰذا الموضوع ما يلي:

أولاً: الجمع بين الصحيحين:

١ ـ الجمع بين الصَّحيحين: للحافظ أبي مسعود، إبراهيم بن محمد بن عبيد الدِّمشقي (المتوفىٰ سنة ٤٠١ هـ).

رتَّبه علىٰ المسانيد، كما ذكر ذلك الحافظُ ابن الأثير، في «جامع الأصول»[١].

٢ ـ الجمع بين الصَّحيحين: لإسماعيل بن أحمد، المعروف بابن الفُرَات (المتوفىٰ سنة ٤١٤ هـ).

---

(١) انظر: الفصل الثالث من الباب الأول من المقدمة، ص: ٤٨.

٣ ـ **الجمع بين الصَّحيحين**: لأبي بكر، أحمد بن محمد بن غالب البَرْقَاني (المتوفى سنة ٤٢٥ هـ).

٤ ـ **الجمع بين الصَّحيحين**: للإمام أبي عبد الله، محمد بن نصر الحُمَيْدِيّ الأندلسي (المتوفى سنة ٤٨٨ هـ).

وله زياداتٌ عليهما في المتون والأسانيد وغيرها من الفوائد المُهِمَّة.

٥ ـ **الجمع بين الصحيحين**: للحسين بن مسعود البَغَوِيّ (المتوفى سنة ٥١٦ هـ).

٦ ـ **الجمع بين الصحيحين**: لأبي محمد، عبد الحَقّ بن عبد الرحمٰن بن عبد الله الإشْبِيْلِيّ (المتوفى سنة ٥٨١ هـ).

٧ ـ **الجمع بن الصحيحين**: لأبي عبد الله، محمد بن حسين المري الأنصاري (المتوفى سنة ٥٨٢ هـ).

٨ ـ **الجمع بين الصحيحين**: لأبي حفص، عمر بن بدر بن سعيد الموصلي (المتوفى سنة ٦٢٢ هـ).

٩ ـ **الجمع بين الصحيحين**: لأبي محمد، الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَاني (المتوفى سنة ٦٥٠ هـ).

وهو مطبوعٌ باسم: «مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية».

ثانياً: الجمع بين الكُتب الخمسة أو السِّتّة:

١ ـ **التجريد للصِّحاح والسُّنن**: (الصحيحان، والموطَّأ، والترمذي، وأبو داود، والنَّسائي): للحافظ أبي الحسن، رَزِيْن بن مُعاوية السَّرَقُسْطِيّ (المتوفى سنة ٥٣٥ هـ).

٢ ـ الجمع بين الكُتب السِّتَّة (الصحيحان والموطَّأ والسُّنن ما عدا ابن ماجه): لأبي محمد، عبد الحَقّ بن عبد الرحمن الإشْبِيْلِيّ (المتوفى سنة ٥٨١ هـ).

٣ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ: لمجد الدين المبارك ابن محمد بن الأثير الجَزَرِي (المتوفى سنة ٦٠٦ هـ).

٤ ـ أنوار المصباح في الجمع بين الكتب السِّتَّة الصحاح: لأبي عبد الله، ابن عتيق بن التُّجَيْبِي الغَرْنَاطي (المتوفى سنة ٦٤٦ هـ)[1].

قُدّم ذكر هذين الكتابين هنا مع تأخُّر وفاة مؤلِّفيهما تجوُّزاً لاتِّحاد موضوعهما مع الكتب المذكورة في الأعلى.

* * *

(١) انظر: «الحديث والمحدِّثون» ص: ٣٦٣، و«تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره...» للزهراني» ص: ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

القسم السَّادس

تدوين السُّنَّة

بعد القرن الخامس إلىٰ نهاية القرن التَّاسع الهجري

المِحَنُ والبلايا التي مَرَّ بها هذا القرنُ:

لقد مَرَّتْ علىٰ المسلمين في هٰذا الوقت الممتدّ عبر أربعة قرون تقريباً، مِحَنٌ وبلايا يشيب لهولها الولدان، ومن هٰذه المِحَن:

١ ـ استمرارُ الانحطاط العلميّ والجُمود الفكريّ الذي بدأ من أوائل القرن الخامس الهجري تقريباً.

٢ ـ استمرارُ الحملات الصَّلِيبية علىٰ ديار المسلمين، إذ بعد هزيمتهم في معركة (حِطِّين) سنة(٥٨٣ هـ) وطردهم من بيت المَقْدِس علىٰ يد القائد المظفَّر صلاح الدين الأيوبي (المتوفى سنة٥٨٩ هـ) استمرَّ لهؤلاء الصَّليبيين وجودٌ ـ أيضاً ـ في بعض مُدُن الشَّام قرابةَ قرنٍ من الزَّمن بعد هزيمتهم في حِطِّين، حيث كانت آخر معركة مع الصَّليبيين في آخر معقل لفلولهم، معركة (عكا) سنة (٦٩٠ هـ) كما ذكر ذلك الحافظُ الذهبيُّ في حوادث تلك السَّنة من كتابه «تاريخ الإسلام»، وذكر ـ رحمه الله تعالى ـ أنه حَضَرها بنفسه وسِنُّه يومئذ سبع عشرة سنة، وأنها كانت علىٰ أيدي العلماء من الفقهاء والمحدِّثين والمطوعة، حيث كانوا يجرون المنجنيق بأيديهم وهم يرتِّلون آيات الجهاد ويضرعون بالدعاء.

٣ ـ ومنها تلك المحنةُ العظيمةُ والرَّزِيّةُ الأليمةُ التي ألَمَّتْ بالمسلمين علىٰ

أيدي التَّتار الوثنيِّين، حيث بلغت ذُرْوَتها بسقوط بغداد على أيديهم سنة (٦٥٦ هـ)، واستمرَّت معاركه الضَّارية ضِدَّ المسلمين حتى كسرهم الله على يد المسلمينَ مَرَّتَيْن: الأولى على يد الملك المظفَّر قطز في معركة (عين جالوت) سنة (٦٥٨ هـ)[١]، والثانية على يد شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته في موقعة (شقحب) قُربَ مدينة دمشق سنة (٧٠٢ هـ)[٢]، وبعد هٰذه الموقعة لم يَعُدْ للتَّتار ذكرٌ ـ فيما أعلم ـ حيث تفرَّقوا ودخل كثيرٌ منهم الإسلام.

٤ ـ ومنها استمرارُ تسلُّطِ أصحاب البِدَع والأهواء على رِقَاب المسلمين وتحكُّمهم فيها، وقد بدأ ذلك من منتصف القرن الرابع الهجري تقريباً بتسلُّط البُوَيْهِيِّين الرَّوافض على الخلافة في بغداد واستيلاء العبيديين الباطنيين على شمال أفريقيا ومصر والشام، وقبل ذلك تسلَّط على المسلمين القَرَامِطةُ الملحدون في البحرين وبعض أجزاء من العراق والشام.

وانتهى باستحواذ الوزير الرافضي ابن العَلْقَمِيّ وصاحبه نصير الكفر الطُّوسي على الخليفة العباسي في بغداد، ولم يزل ابنُ العلقمي يزيِّن للخليفة تسريحَ أفراد الجيش النظامي الذي كان عدده يزيد على ثلاثمئة ألفٍ فأصبح لا يزيد عن عشرة آلاف شخص عند هجوم التَّتار على بغداد[٣].

٥ ـ ومنها تلك الفِتَنُ والقلاقلُ الداخليةُ بين بعض وُلَاة المسلمين وأمرائهم، حيث كان كلُّ أميرِ مدينةٍ أو ناحيةٍ يُغير على مَن حوله من الولايات أو الإمارات الصغيرة، وقد كثرت في ديار المسلمين هٰذه الولاياتُ الصغيرةُ المتناحرةُ وخاصّةً في بلاد الشَّام وشمال العراق فضلاً عما اشتهر في الأندلس من دُوَيْلاتِ الطَّوائف وما بعدها من الدُّوَيْلات الصغيرة والمتناحرة.

---

(١) انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/ ٢٠٠).

(٢) انظر المصدر السابق: (١٣/ ٢٣٠).

(٣) انظر المصدر السابق: (١٤/ ٢٣ ـ ٢٧).

هـٰذه من أشهر المِحَن والرَّزايا التي ابْتُلِيَ بها المسلمون خلال هـٰذه القرون المتأخِّرة، إلاَّ أنه كان مما يُخفِّف من حِدَّتِها ظُهورُ تلك المصاولة والمجاولة من فينةٍ لأخرىٰ بين المسلمين وأعدائهم؛ وذلك علىٰ أيدي الأئمة والعلماء من أهل السُّنَّة والجماعة ومن الأمثلة علىٰ ذلك ما قام به العلماء من أهل السُّنَّة والجماعة من جهود لمقاومة ذلك الانحطاط العلمي والجمود الفكري.

أعلام المحدِّثين في هذا القرن:

أولاً: من علماء المشرق، أمثال:

١ ـ الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرُوْجِرْدي البَيْهَقي الخُراساني (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ)، صاحب «السنن الكبرى».

٢ ـ والحافظ أحمد بن علي بن ثابت، المعروف بـ: «الخطيب البغدادي» (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ)، صاحب «تاريخ بغداد» ومؤلَّفاتٍ قيمةٍ في الحديث وعلومه.

٣ ـ ومحمد بن طاهر، المعروف بـ: «ابن القَيْسَراني» (المتوفى سنة ٥٠٧ هـ).

٤ ـ وأبي مسعود، الحسين بن مسعود الشَّافعي، الملَّقب بـ: «محيي السُّنَّة» (المتوفى سنة ٥١٥ هـ)، صاحب «شرح السُّنّة».

٥ ـ وأبي بكر، محمد بن موسى الحازمي الهمداني (المتوفى سنة ٥٨٤ هـ) صاحب مؤلَّفات نافعة.

٦ ـ وأبي موسى، محمد بن عمر بن أحمد المديني (المتوفى سنة ٥٨١ هـ).

٧ ـ والحافظ أحمد بن محمد بن سِلَفَة، أبو طاهر السِّلَفي (المتوفى سنة ٥٧٦ هـ).

٨ ـ والحافظ عبد الرحمٰن بن علي بن محمد، المعروف بـ: «ابن الجوزي» (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ). علامة عصره في التاريخ والحديث، وكثيرُ التصانيف، وغيرهم.

ثانياً: ومن علماء المغرب، أمثال:

١ ـ الحافظُ أبي عمر، يوسف بن عبد الله بن عبد البَرّ الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ).

٢ ـ والمحدِّث الفقيه أبي محمد، علي بن أحمد بن عبد الله القُرطبي، المعروف بـ: «ابن حَزْم» (المتوفى سنة ٤٥٦ هـ).

٣ ـ والمحدِّث الفقيه أبي الوليد، سليمان بن خَلَف بن سعد الأندلسي (المتوفى سنة ٤٧٤ هـ).

٤ ـ والحافظ أبي عبد الله، محمد بن أبي نصر فَتُوح بن عبد الله الحُمَيْديّ الأندلسي (المتوفى سنة ٤٨٨ هـ).

٥ ـ والحافظ المحدِّث الفقيه القاضي عياض بن موسى اليَحْصُبِيّ السَّبْتِيّ المغربي (المتوفى سنة ٥٤٤ هـ)، صاحب التآليف النفيسة في الحديث وغيره.

٦ ـ والحافظ أبي الحسن، رَزِيْن بن مُعَاوِية بن عَمَّار العَبْدَرِيّ السَّرَقُسْطِيّ الأندلسي (المتوفى سنة ٥٣٥ هـ).

٧ ـ والمحدِّث الفقيه أبي محمد، عبد الحقّ بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي، المعروف بـ: «ابن الخرَّاط» (المتوفى سنة ٥٨١ هـ).

٨ ـ والمحدِّث الفقيه أبي العبَّاس، أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري

القُرطبي (المتوفى سنة ٦٥٦ هـ) من كبار رجال الحديث في عصره، وشارح «صحيح مسلم».

٩ ـ والمفسِّر المحدِّث أبي عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القُرطبي (المتوفى سنة ٦٧١ هـ).

ثم أشرقت أنوارُ نهضةٍ علميةٍ جديدةٍ مع بدايات القرن السابع الهجري على أيدي علماء السُّنَّة من المحدِّثين والفقهاء من أمثال:

١ ـ الحافظ عبد الغني المَقْدِسِيّ (المتوفى سنة ٦٠٠ هـ).

٢ ـ ومجد الدين أبي السعادات مبارك بن محمد، المعروف بـ: «ابن الأثير» (المتوفى سنة ٦٠٦ هـ).

٣ ـ والحافظ أبي عبد الله، محمد بن عبد الواحد الدمشقي الصالحي، المعروف بـ: «الضِّياء المَقْدِسِيّ» (المتوفى سنة ٦٤٣ هـ).

٤ ـ والحافظ زكي الدين، عبد العَظِيم بن عبد القوي المُنْذِرِيّ (المتوفى سنة ٦٥٦ هـ).

٥ ـ وسلطان العلماء العِزّ بن عبد السَّلام (المتوفى سنة ٦٦٠ هـ) وغيرهم.

ثم تُوِّجَتْ هذه النهضةُ العلميةُ بصلب عُوْدِها وبلوغ ذُرْوَتها على يد شيخ الإسلام الحافظ أبي العباس ابن تَيْمِيَّة الحَرَّاني (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) وتلامذته مثل:

١ ـ الحافظ أبي الحجّاج، جمال الدين المِزِّيّ (المتوفى سنة ٧٤٢ هـ).

٢ ـ والحافظ ابن القَيِّم الجَوْزِيَّة (المتوفى سنة ٧٥١ هـ).

٣ ـ والحافظ علم الدين البِرْزَالي (المتوفى سنة ٧٣٩ هـ).

٤ ـ والحافظ شمس الدين الذَّهَبِيّ (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ).

٥ ـ والحافظ أبي الفِدَاء ابن كثير الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤ هـ).

٦ ـ والحافظ ابن رَجَب الحنبلي (المتوفى سنة ٧٩٥ هـ).

ثم حمل الرايةَ من بعدهم: الحافظُ زَيْن الدين العِراقيّ (المتوفى سنة ٨٠٦ هـ) ومدرسته من أمثال:

١ ـ الحافظ أبي الحسن، علي بن أبي بكر، نُور الدين الهَيْثَمِيّ (المتوفى سنة ٨٠٧ هـ).

٢ ـ والحافظ أبي العبَّاس، شهاب الدين، أحمد بن أبي بكر البُوْصِيري (المتوفى سنة ٨٤٠ هـ).

٣ ـ والحافظ أبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العَسْقَلاني (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ) وغيرهم.

فقد أحيا هؤلاء الأعلامُ ـ كلٌّ في عصره وبحسب إمكاناته ـ السُّنَّةَ، ونشروا العلمَ، وبصروا الأُمَّةَ بواقعها الذي تعيشه، وجدَّدوا لها ما اندرس من أمر دينها في تلك العصور التي أحلكت فيها الظلمةُ على الأمّة، وابتعد كثيرٌ من الناس عن نُور النُّبُوَّة، فاحتاجوا إلى من يُضيء لهم الطريقَ ويُنير السَّبيلَ.

وقد سلك العلماءُ بعد هٰذا القرن الخامس الهجري ـ في مجال خدمة السُّنَّة المُطهَّرة وعلومها ـ مسالكَ شتّى في مصنَّفاتهم، ويبرز ذلك من خلال الأعمال التالية:

١ ـ العناية التَّامَّة بكتب السَّلَف، روايةً ودراسةً وشرحاً وترجَمةً لرجالها. .

٢ ـ العناية بعلوم الحديث تأليفاً وترتيباً وتهذيباً، وفي هٰذا القرن كثرت كتبُ المصطلح المرتَّبة المهذَّبة شرحاً ونظماً.

٣ ـ الابتكارُ في التصنيف والعناية بالترتيب، حيث ظهرت أنواعٌ جديدةٌ من المصنَّفات منها:

أ ـ كتبٌ اعتنتْ بجمع أحاديث موضوعاتٍ مُعيَّنةٍ محدودةٍ مثل: «كتبِ الأحكام» كـ: «الأحكام الكبرى» لأبي محمد عبد الحقّ بن عبد الرحمن الإشبيلي (المتوفى سنة ٥٨١ هـ) و «الأحكام الصغرى» له، و«الأحكام» لعبد الغني بن عبد الواحد المَقْدِسي (المتوفى سنة ٦٠٠ هـ) و«عمدة الأحكام عن سيد الأنام» له، وغير ذلك كتب كثيرة[١].

ومثل كتب «الموضوعات» التي أُفردت بجمع الأحاديث الموضوعة، كـ: «تذكرة الموضوعات» للحافظ محمد بن طاهر المَقْدِسي (المتوفى سنة ٥٠٧ هـ)، و«الموضوعات من الأحاديث المرفوعة» لأبي عبد الله الحسين بن إبراهيم الجوزقاني (المتوفى سنة ٥٤٣ هـ). و«الموضوعات» للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ). وغيرها[٢]

ب ـ كتبٌ اعتنتْ بخدمة كتبٍ أخرىٰ، أو حَوَتْ موضوعاتٍ عامّةً وشاملةً، مثل: «كتب التخريج» التي تولَّى فيها مؤلِّفوها تخريجَ الأحاديث الواقعة في بعض المصنَّفات الأخرى، كـ: «تخريج أحاديث المهذَّب» لأبي إسحاق الشِّيرازي: تصنيف محمد بن موسى الحازمي (المتوفى سنة ٥٨٤ هـ)، و«تخريج أحاديث المختصر الكبير» لابن الحاجب: تصنيف محمد بن أحمد عبد الهادي المقدسي (المتوفى سنة ٧٤٤ هـ)، و«نصب الراية لأحاديث

(١) يرجع للاطلاع على جميع كتب الأحكام إلى كتابنا: «مصادر الحديث ومراجعه: دراسة وتعريف» قسم الدراية، طبع في دار ابن كثير ـ دمشق.

(٢) يرجع للاطلاع على كتب الموضوعات إلى الكتاب آنف الذكر.

الهداية» للمرغيناني: تصنيف عبد الله بن يوسف الزَّيْلَعي (المتوفى سنة ٧٦٢ هـ) وغير ذلك[١].

ومثل: كتب «الزوائد» التي يجمع فيها مؤلِّفوها الأحاديث الزائدة في بعض الكتب عن الأحاديث الموجودة في كتب أخرى، كـ: «مصابيح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» لأبي العباس أحمد بن محمد البوصيري (المتوفى سنة ٨٤٠ هـ)، و«إتحاف السادة المَهَرَة الخيرة بزوائد المسانيد العشرة» له أيضاً، و«المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» للحافظ ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ)، و«مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى سنة ٨٠٧ هـ) وغير ذلك[٢].

* * *

(١) يرجع للاطلاع على كتب التخريج إلى الكتاب آنف الذكر.

(٢) يرجع للاطلاع على كتب الزوائد إلى الكتاب آنف الذكر.